الفصل الأول

أبو زهرة : نشاته وتعليمه ورأيه فى قضايا عصره

- **نسبه وأسرته .**
- **نشأتــه .**
- **حياته ونشاطاته .**
- **وظائفــه .**
- **صفاتــه .**
- **مؤلفاتــه .**
- **عصر الإمام ورأيه فى قضايا عصره .**

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

أبو زهرة نشأته وتعليمه ورأيه فى قضايا عصره

نسبه وأسرته :

هو" محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد بن عبد الله ، من علماء الشريعة الإسلامية ".(١)

" ولد الشيخ (محمد أبو زهرة) في عام ١٣١٦هـ = ١٨٩٨م ، في التاسع والعشرين من شهر مارس بمدينة المحلة الكبرى بمحافظة الغربية بمصر ".(٢)

" امتاز ذلك الوليد عن اخوته الذين ولدوا قبله ، أنه اتجه للدراسة الدينية منذ نعومة أظفاره، وكبر الصغير وترعرع في أحضان أسرته ، ثم لم يكد يشب عن الطوق حتى أدخله أبوه الكتاب ، ومنذ ذلك الوقت عرف بين أقرانه بأنه ذكي قوي الحافظة منظم العقل والفكر ، كثير النظر إلى ما أمامه من فضاء ، صافي الذهن ، واسع الأفق ".(٣)

وعن أسرته فقد " ولد الإمام (محمد أبو زهرة) في أسرة عرفت بالتدين والثراء الفكري الإسلامي الواسع ، مما كان له أكبر الأثر في توجيه الإمام ونبوغه الديني ، وتربى بالجامع الأحمدي ، وتعلم بمدرسة القضاء الشرعي "(٤) ، " وقد تولى تدريس العلوم الشرعية والعربية ، وعلم في المدارس الثانوية ، وبدأ اتجاهه إلى البحث العلمي في كلية أصول الدين ، وعين أستاذا محاضرا للدراسات العليا في الجامعة ، وعضوا للمجلس الأعلى للبحوث العلمية،وكان وكيلا لكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، ووكيلا لمعهد الدراسات الإسلامية".(٥)

---

(١) خير الدين الزركلي : **الأعلام** ، طـ٥ ، جـ٦ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٠م ،ص ٢٥ .
(٢) محمد أبو زهرة : **العلاقات الدولية كما نظمها القرآن** ، تحقيق / عبد الباسط محمد أمين ، القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية ، ٢٠٠٤م ، ص ٥ .
(٣)ناصر محمود وهدان:**أبو زهرة عالماً إسلامياً**،تقديم/ على الخطيب، القاهرة،شركة ناس للطباعة ، ١٩٩٦، ص ١٠
(٤) خير الدين الزركلي : **مرجع سابق** ، ص ٢٥ .
(٥) عمر رضا كحاله:**المستدرك على معجم المؤلفين** ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م ، ص ٥٨٥ .

" وعائلة أبي زهرة من أبرز عائلات المحلة الكبرى ، وعميدها مصطفى أبو زهرة ويلقب بشيخ المحلة الكبرى لتبحره في علوم الدين والدنيا ، ولوقوفه مع أهل المحلة ضد ظلم القصر وأعوانه ، ولقب بالششتاوي نسبة إلى بلدته الأصلية (ششتا) مركز زفتى بمحافظة الغربية، وله مسجد كبير معروف بمسجد الششتاوي".(١)

كان الشيخ / أحمد والد شيخنا محمد أبي زهرة رحمهما الله ممن عرف بالتدين والتمسك بأهداب الدين الحنيف ، والتمسك بمكارم الأخلاق.(٢)

ومما تجدر الإشارة إليه أن أمه السيدة / خضرة كانت مثل زوجها تحفظ القرآن الكريم حفظا جيدا ، بل وترتله دائماً للشيخ محمد أبي زهرة قبل ذهابه للشيخ في الكتاب بالمحلة وهو طفل صغير.(٣)

وأما عن أفراد أسرته من الذكور فهم : " العالم النابغة الدكتور / مصطفى أحمد أبو زهرة مؤسس علم الطيران المدني في جامعات مصر".(٤)

ومن إخوته الذكور : " الأستاذ عبد الفتاح أحمد أبو زهرة وهو الأخ الأكبر لشيخنا وكان يعمل وكيل محام بمدينة المحلة نفسها وتوفي ١٩٦٩م ، والأستاذ عبد العزيز أحمد أبو زهرة الشقيق الثالث للشيخ ويصغره سنا ، وكان يعمل موظفا بوزارة المالية ، وقد أحيل إلى المعاش قبل انتهاء خدمته لفقد بصره ".(٥)

وأما عن أخواته من النساء فهن : " السيدة سكينة أحمد أبو زهرة وكانت تعمل في حقل التعليم كمديرة لإحدى المدارس في مصر الجديدة بالقاهرة وذلك قبل وفاتها ١٩٦٨م

---

(١) محمود الشرقاوي، ومحمد رجب البيومي:**المحلة الكبرى تاريخ وشخصيات**،القاهرة،دار الصحوة للنشر،١٩٨٧،ص٤٥ .
(٢) ناصر محمود وهدان : **مرجع سابق** ، ص ١١ .
(٣) **المرجع السابق** : ص ١١ .
(٤) أبو بكر عبد الرازق : أبو زهرة إمام عصره ، **مرجع سابق** ، ص ٢٤ .
(٥) ناصر محمود وهدان : **مرجع سابق** ، ص ١٢ .

والسيدة فاطمة أحمد أبو زهرة ربة منزل لها ولدان من المشتركين في المجالس المحلية بمدينة المحلة الكبرى كأعضاء بارزين ، وقد توفيت بعد وفاة الشيخ بقليل ، والسيدة روحية أحمد أبو زهرة ربة بيت أخت الشيخ من أبيه ".(١)

" وحري بتلك البيئة أن يظهر فيها إمام بهر الناس بعلمه وشجاعته وجرأته في الحق ، ووقوفه في وجه الظلم أيا كان ، وعاش طوال عمره راية خفاقة للدعوة الإسلامية حاول أعداء الإسلام طيها فعجزوا وبقيت منتصبة حتى طواها الموت ، ولكن الموت إن طوى الأبدان فإنه لا يطوي تراث العلم وروافد المعرفة ،ومعالم الجهاد الحر الخالص لله".(٢)

ثم كانت وفاة الإمام (محمد أبو زهرة) بعد حياة حافلة بالأحداث والوقائع فقد " توفي رحمة الله عليه في منتصف الثامنة من مساء يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الأول عام أربع وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة ، الموافق الثاني عشر من أبريل عام أربع وسبعين وتسع مائة وألف ميلادية ، بمنزله في الزيتون بالقاهرة ، شارع طومانباي ".(٣)

نشأته :

نشأ الإمام في بيئة ريفية كريمة عرفت بأبنائها العلماء ورجالها الصالحين حيث " بدأ الشيخ حياته التعليمية في الكتاب ، شأن كل أزهري في ذلك الوقت ، ثم التحق بالمدرسة الأولية والمدارس الراقية ، حيث أتم حفظ القرآن الكريم ، وتعلم مبادئ العلوم المدنية كالرياضيات والجغرافيا بالإضافة إلى العلوم العربية ".(٤)

وعن نشأته في الكتاب وأثرها في حياته يقول : " كنت أشعر وأنا في المكتب

---

(١) **المرجع السابق** : ص ١٢ .
(٢) أبو بكر عبد الرازق : أبو زهرة إمام عصره ، **مرجع سابق** ، ص ٢٤ .
(٣) عبد المعز عبد الحميد الجزار : من أعلام الأزهر ، **مجلة الأزهر** ، جـ ٨ ، السنة ٥٦ ، القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية ، شعبان ١٤٠٤ هـ ، مايو ١٩٨٤م ، ص ١٢٧٤ .
(٤) محمد أبو زهرة : العلاقات الدولية كما نظمها القرآن ، **مرجع سابق** ، ص ٥ .

(الكتاب) بأمرين ظهرا في حياتي من بعد ، الأمر الأول : اعتزازي بفكري ونفسي حتى كان يقال عني أني طفل عنيد صاحب رأي ، الأمر الثاني : أني كنت أتضايق من السيطرة وأعشق الحرية ولعل الأمرين متلازمين ، لأن الاعتزاز بالنفس يتولد عنه بغض السيطرة.(١)

بعد أن حفظ الإمام القرآن الكريم في هذه السن المبكرة وأتقن مبادئ القراءة والكتابة ، "التحق في سنة ١٩١٣ م بالجامع الأحمدي بطنطا ومكث فيه ثلاث سنين ، وفي هذه الفترة ابتدأ نبوغه وتفوقه يظهر حتى أن شيخ الجامع وهو الشيخ الأحمدي الظواهري الذي صار شيخاً للأزهر ، اقترح أن يمنح مكافآت خاصة لامتيازه ، كما اقترح بألا يمكث في طلب العلم الأزهري خمسة عشر عاماً ، كما كانت المدة المقررة، بل إن مثله يصح أن يتجاوز سنين عدة في سنة واحدة ، ولم يتم تنفيذ هذا القرار لصعوبته قانونياً ، ولانتقاله إلى مدرسة القضاء الشرعي ".(٢)

عرف الإمام في هذه الفترة بجده واجتهاده حتى كان مرموقاً من شيوخه ومن شيخ المعهد الشيخ الأحمدي الظواهري (٣) ، وبعد أن أنهى الإمام دراسته في الجامع الأحمدي بطنطا والتي امتدت ثلاث سنوات ظهر فيها نبوغه وتفوقه ، " التحق في سنة ١٩١٦م بمدرسة القضاء الشرعي بعد امتحان مسابقة كان فيها من الأوائل ، وتكوينه العلمي الحقيقي كان في هذه المدرسة التي أنشأها سعد باشا زغلول في وزارة المعارف على أن تكون عاليتها من درجة أستاذ ، وعهد بإدارتها إلى رجل عظيم هو عاطف باشا بركات ، ومن وقت أن دخل المدرسة كان ينظر إليه ناظرها عاطف باشا بركات نظرة اهتمام وتشجيع وقد مكث فيها تسع سنين ، أربعة في القسم الثانوي ،وخمسة في القسم العالي ، وفيها

(١) محمود حمدي زقزوق : **موسوعة أعلام الفكر الإسلامي** ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ٢٠٠٤ م ص ص ٩٠١ ، ٩٠٢ .
(٢) محمد أبو زهرة : **زهرة التفاسير** ، جـ١ ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٧ م ، ص ٤.
(٣) عبد المعز عبد الحميد الجزار : **مرجع سابق** ، ص ١٢٦٧ .

اتسعت آفاقه الفكرية ، ولما تخرج منها ونال شهادة العالمية من درجة أستاذ عام ١٩٢٥م كون لنفسه منهجاً فكرياً في فهم الشريعة وتفسيرها ، وكلما تعمق فيها ازداد إيماناً بها.(١)

ولقد كان لهذه الفترة التي قضاها الإمام في هذه المدرسة أثر كبير في نشأة الإمام وتكوينه الفكري ، خاصة وأن ناظرها (عاطف باشا بركات) قد اعتني بها عناية كبيرة فكان همه الأكبر هو تخريج جيل من الأفذاذ سواء في الناحية الخلقية أو العلمية حيث : "كان نظام المدرسة على قدر كبير من الشدة والحزم والقوة ، فلم يكن يسمح للطالب بالرسوب في امتحان النقل ، وكان النجاح يشترط فيه الحصول على ٦٠٪ من الدرجات وكان الرسوب في الفترات يعني الحرمان من المكافأة التي كانت تعطي لكل طالب وهي جنيه ونصف الجنيه للقسم العالي ، وجنيه واحد للقسم الأول ، وقد استمر (عاطف بركات باشا) ينفث في الطلبة من روحه ، ويبعث فيهم الاعتزاز بالنفس والكرامة وحب الإطلاع والخلق الكريم مع الرغبة الصادقة في تحصيل العلوم ، واختص هو بتدريس الأخلاق ".(٢)

ولم يقف الإمام في دراسته عند هذا الحد فقد : " نال دبلوم دار العلوم بقسم المعادلة سنة ١٩٢٧م ، وتولى في هذا العام تدريس العلوم الشرعية والعربية بتجهيزية دار العلوم ثلاث سنوات ، ونقل بعدها إلى المدارس الثانوية حيث درس بها سنتين ونصف السنة".(٣)

ومنذ ذلك الوقت بدأ الإمام حياته العلمية من خلال الوظائف التي شغلها منذ ذلك الحين وحتى وفاته ، وبذلك يكون للمعهد الأحمدي بطنطا ، وشيخه (الشيخ الأحمدي الظواهري)، ومدرسة القضاء الشرعي وناظرها (عاطف باشا بركات) أكبر الأثر في نشأة

(١) محمد أبو زهرة : زهرة التفاسير ، **مرجع سابق** ، ص ٤ .
(٢) أبو بكر عبد الرازق : أبو زهرة إمام عصره ، **مرجع سابق** ، ص ص ٢٨،٢٧ .
(٣) محمد عبد الجواد : **تقويم دار العلوم** ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٢ م ، ص ٢٦٦ .

الإمام الخلقية والعلمية ، حتى صار علماً من أعلام عصره ، ونموذجاً كريماً يحتذي به لما كان يتمتع به من الصفات والأخلاق.

حياته ونشاطاته :

لم تكن أسرة الإمام من الأسر الغنية في ذلك الوقت ، بل كانت متوسطة الحال شأنها شأن كثير من الأسر المصرية في ذلك الوقت ، ولكن ذلك لم يكن حائلاً يمنع الإمام من مواصلة آماله وطموحاته ، ويتحدث الإمام عن هذه الحياة فيقول : " لقد ابتدأت فقيراً في أسرة بين الفقر والغنى، ولكن لم ينل الفقر من إحساسي بنفسي ، واعتزازي بديني وخلقي كأسرتي التي كانت عزيزة في مالها ، وعزيزة في نفسها ، ولم تصل إلى درجة الثراء قط ولكنها كانت دائماً موضع الاحترام والتقدير ، ولما دخلت موظفاً في الحكومة قنعت وكنت مدرساً يقدر بين تلاميذه وأولياء أمورهم ، وعزفت عزوفاً كاملاً عن الدروس الخصوصية ولقد كانت حياتي وأنا في ميعة الصبا جادة لا هزل فيها ، فلم تصبني صبوة الشباب ، فما ماعت نفسي لحب استغرقها ، ولا لشهوة جامحة دفعتها لا لكره في النساء ولكن لجد في العمل ، ولما نلت مطلبي من العلم أخذت أفكر في الزواج فتزوجت وكان حبي لزوجي وأولادي ، وأحسب أن هذا هو الحب الذي يدوم ، وهو الذي ينظم حياة الإنسان ".(١)

لقد كان الإمام من أشد المدافعين عن العقيدة الإسلامية وإظهار فضل الدين الإسلامي في تحقيق صلاح الإنسانية من خلال بحوثه ودراساته وعقد العديد من المقارنات لإظهار حقيقة معينة وبخاصة فيما يتعلق بالدين الإسلامي ويتحدث الإمام عن هذه الأمور فيقول : " نشأت مسلماً في قوم مسلمين ، وآمنت منذ نشأت بالله الواحد الأحد ولكني كنت

(١) أنور الجندي : **أعلام القرن الرابع عشر الهجرى أعلام الدعوة والفكر** ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨١
ص ص ٣٩ ، ٤٠ .

مشغوفاً منذ نعومة أظافري أن أعرف العقائد التي تسود الفكر الإنساني لأعرف مكان العقيدة الإسلامية بينها مع إيماني بأن القرآن هو الحق الذي لا ريب فيه ، وما جاء به محمد ﷺ هو الصلاح ، فدرست ما وسعني الوقت والتمكن من الإطلاع ، فقرأت ما جاء في الديانات القديمة وما عليه الديانات السماوية بعد أن حالت وتغيرت ، ولقد انتهيت كما ابتدأت مؤمناً بالقرآن وعقيدته ، والنبي وشريعته ، لأن الشريعة الإسلامية فيها تنزيه العقول من الأوهام، وتطهيرها من الأرجاس ، والشريعة الإسلامية فيها صلاح الإنسانية.(١)

لم تكن حياة الإمام مجرد بحث واطلاع ودراسة فقط بل كانت له نشاطاته ومشاركاته في مختلف جوانب الحياة في مجتمعه ، فلم يكن الإمام بمنأى عن الحياة السياسية في عصره ، بل كان من أبرز المشاركين فيها خاصة وأنه ولد وتربى في عصر كانت تعاني فيه مصر ومختلف الدول العربية من وطأة الاحتلال والاستعمار بمختلف صوره وأشكاله ، فقد اتصف الإمام بالروح الوطنية العالية ومناهضة رجال السلطة في عصره ، وقد برز دوره السياسي في فترة قيام ثورة ١٩١٩م ، " وقد ساعدته الظروف –حينذاك – أن يقف على دقائق كثير من أحداثها ووقائعها ، التي كانت تشغل الرأي العام ، ورأى في شخصية الزعيم الوطني: سعد زغلول بغيته ، فأحبه عن قرب وتعلق به ، ولم يترك شيخنا فرصة سنحت له بالالتقاء بسعد إلا اهتبلها ،وحرص على حفظ خطبه وترادها ، وبفضل الذاكرة الواعية لشيخنا أصبح بحق مؤرخ أدق أسرار هذه الثورة ".(٢)

كانت شدة إعجاب الإمام بالزعيم (سعد زغلول) لا حد لها وحدود لأنه اقترنت سمعته عنده بوقوفه في وجه الخديوي ، فيقول الإمام " كنت أقرأ كلمات الزعيم سعد زغلول

(١) محمد أبو زهرة : **مقارنات الأديان الديانات القديمة** ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٥م ، ص ص ٣ ، ٤ .
(٢) عبد المعز عبد الحميد الجزار : **مرجع سابق** ، ص ١٢٦٨ .

فأهتز اهتزازاتي الكاملة ، لقوله : يعلم سمو الأمير وجناب اللورد كتشنر أني لست آلة في يد أحد غير نفسي ، واعتزاز الإمام بسعد زغلول يرجع لاعتزازه بنفسه وفكره وشجاعته ورفضه للظلم وهذا هو لب حياة الإمام ومفتاح شخصيته ".(١)

ولم يكن الإمام بمنأى عن الجماعات والجمعيات التي ظهرت في عصره ، فقد كان لديه رغبة ملحة ، ودافع قوى في معرفة وكشف حقيقة هذه الجماعات ، والوقوف على أهدافهم ومبادئهم واتجاهاتهم حتى يتسنى له الفصل والتمييز بين ما هو حق وما هو باطل وتكون لديه قدرة على الحوار والمناقشة في مواجهة الخصوم ، ويتضح ذلك من خلال موقفه من محافل الماسونية والتي كانت منتشرة في ذلك الوقت، إلا أنها كانت تعمل في سرية تامة مما دفع الإمام إلى محاولة معرفتهم والكشف عن حقيقتهم ، ويتحدث الإمام عن هذه التجربة التي مكث فيها مع هذه الجماعة فيقول : " في ذلك الوقت كنت أعرف بعض الماسونيين ، فبدأت محاولتي معهم لمعرفة الماسونية وأهدافها ، في كل مرة كنت أصطدم بعقبتين إما لجهل الذي كنت أسأله بالماسونية فلا أحظى بمعلومات هامة ، وإما حذر الذي كنت أسأله فلا أحظى بأي شيء منه ، وأخيراً وجدت نفسي أمام طريق واحد هو الالتحاق بالماسونية إذا أردت أن أعرف شيئاً عنها ، فالتحقت بها وأمري إلى الله ".(٢)

فلم يكن انضمام الإمام إلى الماسونية إلا رغبة منه في كشف حقيقتها ومعرفة أهدافها وسبب غموضها وسريتها فيقول : " عرفت أن اليهود كانوا مضطهدين في أوربا منذ أربعمائة سنة تقريباً ، وهم الذين أنشأوا الماسونية وجعلوا منها جمعية سرية للدفاع عن مصالحهم ولكي يهربوا من الاضطهاد كانوا يعتنقون المسيحية ظاهراً ويستمرون على

(١) أبو بكر عبد الرازق : أبوزهرة إمام عصره ، **مرجع سابق** ، ص ٣٧ .
(٢) حسين عمر حمادة : **شهادات ماسونية** ، ط ٢ ، دمشق ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٣ م ، ص ٦١ .

اليهودية باطناً، ومن أجل هذا ولكي يعرف أحدهم الآخر اخترعوا لجمعيتهم رموزاً معينة يتخاطبون بها ، وهكذا بدأت الماسونية تعمل في الظلام ، وتحيط نفسها بالغموض والأسرار وقد اعتراني الشك منذ اليوم الأول في نوايا الماسونية ، ولاحظت أن هناك تيارات خفية من ناحية المبادئ والأشخاص ، ووجدت من العبث أن أستمر فيها وقد تركت الماسونية منذ عام ١٩٥١ م ".(١)

وبرغم انشغال الإمام بحياته العلمية والعملية وما تعرض له من أحداث ووقائع فلم يكن بعيداً عن حياته الأسرية وعن زوجته وأولاده " فكان أهم ما يميز بيت الإمام الذي يقطن فيه سواء في الجيزة أو في مصر الجديدة أو في الزيتون أن به مكاناً خاصاً بالأسرة ومكاناً خاصاً بالقراءة والمكتبة ، وكان الإمام عندما ينتهي من معايشة كتبه ومن القراءة كان يعايش أهله وأبناءه وزواره، وكان مع أبنائه الأب الإنسان البسيط الحنون عليهم وكان – رحمة الله عليه – دائم السؤال عن أصدقائه وجيرانه ".(٢)

وبرغم ما تعرض له الإمام من محن وصعاب إلا أنه كان شديد الثقة في نفسه ولعل هذا راجع إلى قوة إيمانه وثقته في الله فيقول عن ذلك : " واحسب في حياتي كلها أن الله كان معي مع كثرة الذين يرومون بي السوء ، وما خيب الله لي أملاً ولا رجاءً ، وكنت اضطهد في العهود السابقة فكلما اشتد الكرب على جاءني الفرج من حيث لا أحتسب يروي هذا لتلاميذه ثم يقول : كونوا يا بني مع الحق دائماً واخلصوا لله دائماً ولا تمالقوا أحداً في حق ولا تكونوا على ضعف أبدا ".(٣)

وبرغم تعدد وكثرة المناصب العلمية التي شغلها الإمام وحرصه على أداء رسالته على الوجه الأكمل إلا أن ذلك لم يقف حائلاً يمنع الإمام من مواصلة حياته العلمية ، " فقد

(١) **المرجع السابق** : ص ص ٦١ ، ٦٢ .
(٢) أبو بكر عبد الرازق : أبوزهرة إمام عصره ، **مرجع سابق** ، ص ٥٩ .
(٣) أنور الجندي : **مرجع سابق** ، ص ٣٦ .

كان شغوفاً بالعلم والدرس والتأليف ، ولم ينقطع عن المحاضرات والندوات حتى عُدّ بمزاياه من أكبر رجالات المؤتمرات والندوات في مصر والعالم الإسلامي وقد جاب كثيراً من بلدان العالم الإسلامي والعربي مدعواً لإلقاء محاضرات أو المشاركة في ندوات ومؤتمرات ومجامع فقهية ، وقد انتفع المسلمون من علمه وفقهه ، فقد تم دعوته إلى الكويت ثلاث مرات آخرها عام ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م بدعوة من جامعة الكويت ، والمرتان الأولتان بدعوة من جمعية الإصلاح الاجتماعي، ومن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ".(١)

لقد كان للإمام (أبو زهرة) نشاط واسع في هذه المؤتمرات والندوات من خلال بحوثه ومحاضراته ، "فله العديد من البحوث ألقيت في المؤتمرات والندوات الدولية التي حضرها مثل (حلقة الدراسات الاجتماعية) التي انعقدت في دمشق ١٩٥٢ م ، ومؤتمر (الندوات الإسلامية) الذي عقد في لاهور بباكستان في الفترة من ١٩٥٧/١٢/٢٩ م إلى ١٩٥٨/١/١٣ م ، ومؤتمر (الخبراء الاجتماعيين) الذي انعقد عدة مرات بالقاهرة، وانعقد بالكويت عام ١٩٥٨ م ، ومؤتمر (مجمع البحوث الإسلامية) المنعقد بالجزائر عام ١٩٦٩ م ثم بالمغرب عام ١٩٧١ م ، ثم بالقاهرة عام ١٩٧٣ م ، هذا بخلاف المحاضرات والندوات خلال زيارات فضيلة الإمام لدول السودان ، والكويت ، والجماهيرية الليبية ، والجزائر وسوريا ، وغيرها ".(٢)

ولم يكن ذهاب الإمام إلى هذه الندوات والمحاضرات رغبة منه في المكافأة المادية أو حباً في الشهرة والظهور بل : " إن الندوات الخارجية في بلاد الإسلام كان الأستاذ يدعي إليها بالاسم، ولا يستطيع المسئولون أن يمنعوا أستاذاً كبيراً يشرف بلاده في أداني المعمورة

(١) عبد الله العقيل: **من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة**، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ٢٠٠١م، ص ٥٨٤ .
(٢) محمد أبو زهرة : زهرة التفاسير ، جـ١ ، **مرجع سابق** ، ص ص ٧ ، ٨ .

وأقاصيها ، وكان المجتمعون أعلام بلادهم ، وفيهم من له منزلة الأستاذ العلمية ومكانته الدينية ، وفيهم من تشبع بآراء مغرضة حاول أن يفرضها مدعياً ما لا طائل تحته من الحرية الموهومة ، والعمق الزائف ، ولمثل هؤلاء كان وجود أبي زهرة أمراً ضرورياً " (١) لقد كانت حياة الإمام نموذجاً كريماً لحياة علم من أعلام الإسلام ، وحياة خصبة وعريضة، فى سبيل العلم والمعرفة والعقيدة .

وظائفه :

شغل الإمام العديد من المناصب العلمية في عصره بعد تخرجه من مدرسة القضاء الشرعي فقد : " تخرج أبو زهرة من مدرسة القضاء الشرعي سنة ١٩٢٥م ، وعمل بالمحاماة لمدة عام ، ثم حصل على دبلوم دار العلوم سنة ١٩٢٧م ، وعين مدرساً للشريعة واللغة العربية بتجهيزية دار العلوم والقضاء الشرعي ، وانتقل مدرساً بالمدارس الثانوية ". (٢)

بعد إلغاء تجهيزية دار العلوم : " انتقل إلى التدريس في المدارس الثانوية العامة نظراً لإلغاء مدرسة التجهيزية بالتدريج ، وكان ذلك في سوهاج بصعيد مصر في مدرسة (فؤاد الأول)، وبذلك يكون تدريسه في تجهيزية دار العلوم وفي الثانوي العام خمس سنين ونصف ". (٣)

انتقل في أول يناير سنة ١٩٣٣م إلى كلية أصول الدين مدرساً للجدل والخطابة فيها ، ثم تاريخ الديانات والملل والنحل. (٤)

لقد كان لهذا التحول من التدريس في المدارس الثانوية العامة إلى التدريس في الجامعة أكبر الأثر في بداية تفوق الإمام ونبوغه وإنتاجه العلمي ، " فقد أسعده الحظ

(١) محمد رجب البيومي : **مرجع سابق** ، ص ٢٤٣ .
(٢) محمود الشرقاوي ومحمد رجب البيومي : **مرجع سابق** ، ص ٤٦ .
(٣) أبو بكر عبد الرازق : أبوزهرة إمام عصره ، **مرجع سابق** ، ص ٣٠ .
(٤) محمد أبو زهرة : زهرة التفاسير ، جـ١ ، **مرجع سابق** ، ص ٥ .

بالتدريس في الكليات بعد فترة يسيرة من تخرجه ، إذ اختير مدرساً للخطابة والجدل بكلية أصول الدين ، فألقى محاضرات ممتازة في أصول الخطابة ، وتحدث عن خطباء العصر القديم منتقلاً إلى خطباء العربية في عصورها المختلفة ، وكتب في الخطابة مؤلف كان الأول من نوعه في اللغة العربية ، حيث لم تخص الخطابة قبله بكتاب مستقل ".(١)

وبفضل كتابه (الخطابة) الذي وضعه ودرسه في كلية أصول الدين بالأزهر كان سبباً في اختياره للتدريس بكليات أخرى ، " فقد ذاع فضل المؤلف فاختارته كلية الحقوق لتدريس الخطابة بها ، إذ كانت مادة حية من موادها العلمية ، إذ تقوم المرافعات القضائية على أصولها ، ومن هنا كان النفر الأول من خريجي كلية الحقوق المصرية ذوي بيان آسر ، حيث كانت مادة الخطابة أصلاً من أصول التدريس ".(٢)

ففي : " ٢ نوفمبر ١٩٣٤ م نقل مدرساً للخطابة بكلية الحقوق جامعة القاهرة (فؤاد الأول) مع بقائه بالانتداب في كلية أصول الدين التي استمر بها إلى يونيه ١٩٤٢ م وارتدى الزي الأزهري ، وفي سبتمبر ١٩٣٥ م انتقل من تدريس اللغة العربية إلى تدريس الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة ".(٣)

ونظراً لما كان يحظى به الإمام من تقدير وحب سواء من الأساتذة أو الطلاب في الكلية ، " رأوا أن يعهدوا إليه بتدريس الشريعة الإسلامية بالكلية ، لأن تخصصه الفقهي بمدرسة القضاء يتيح له أن يكون مبرزاً في مادة التشريع لما عهد فيه من تفوقه ونبوغه ، وقد عكف على دراسة الأبواب المقررة بالكلية عكوفاً ظهر أثره الطيب في تلك المؤلفات التي أخرجها ".(٤)

---

(١) محمد رجب البيومي : **مرجع سابق** ، ص ٢٢٠ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ٢٢٠ .
(٣) محمد أبو زهرة : زهرة التفاسير ، جـ ١ ، **مرجع سابق** ، ص ٥ .
(٤) محمد رجب البيومي : **مرجع سابق** ، ص ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

وقد شغل الإمام العديد من المناصب العلمية في هذه الكلية : " فقد تدرج من مدرس إلى أستاذ مساعد إلى أستاذ كرسي ، إلى رئيس لقسم الشريعة ، إلى أن اختاره إخوانه وكيلاً للكلية مدة خمس سنوات انتهت ببلوغه سن التقاعد عام ثمان وخمسين وتسعمائه وألف ١٩٥٨م ، واستمر بالتدريس بالندب في هذه الكلية بعد سن التقاعد كأستاذ غير متفرغ وفي غيرها حتى توفاه الله ١٩٧٤ م ".(١)

وقد شارك - رحمة الله عليه - فى إنشاء العديد من المعاهد والجمعيات فقد : " تولى التدريس في معهد الدراسات العربية العالي التابع لجامعة الدول العربية في السنة التالية لإنشائه ، واشترك في إنشاء جمعية الدراسات الإسلامية ، وإنشاء معهد الدراسات الإسلامية ، وعمل أستاذاً ورئيساً لقسم الشريعة به ".(٢)

" في عام ١٣٨١هـ١٩٦١ م أنشئ (مجمع البحوث الإسلامية) بمقتضى القانون (١٠٣) لسنة ١٩٦١ م ، وقد حل محل جماعة كبار العلماء بالأزهر التي كانت قائمة بمقتضى القوانين السابقة ، وهو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية ، ويتألف من خمسين عضواً - في بداية أمره - من بينهم عدد من الخارج لا يزيد على العشرين ، ويرأس مجلس المجمع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وقد صدر أول تشكيل للمجمع بالقرار الجمهوري رقم (٦٢٧) لسنة ١٩٦٢م في ٢٥ من شعبان ١٣٨١هـ/٣١ من يناير سنة ١٩٦٢م ويتكون من تسعة عشر عضواً أولهم الشيخ شلتوت شيخ الجامع الأزهر في ذلك الوقت ، ومنهم الشيخ أبو زهرة وكيل سابق لكلية الحقوق بالقاهرة ، والدكتور مهدي علام عميد سابق بآداب عين شمس ".(٣)

---

(١) عبد المعز عبد الحميد الجزار : **مرجع سابق** ، ص ١٢٦٩ .
(٢) أبو بكر عب الرازق : أبوزهرة إمام عصره ، **مرجع سابق** ، ص ٣١ .
(٣) ناصر محمود وهدان : من أعلام الأزهر (مهدي علام) ، **مجلة الأزهر** ، جـ١٢ ، السنة ٦٣، القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية ، ذو الحجة ١٤١١هـ ، يونيو ١٩٩١م ، ص ١٣٨٤ .

وقد كان للإمام داخل المجمع دور بارز ونشاط واسع : " ففي ظل المجمع قام أستاذنا الإمام (أبو زهرة) بنشاط ديني واسع ، وبذل جهد مشكور في سبيل الدفاع عن الإسلام وقضاياه ، نظراً لما كان يتمتع به من سعة إطلاع ، ووفرة إنتاج وحيوية متدفقة وبعد نظر في الأحداث الجارية ، يكلل هذا شجاعة منقطعة النظير اختاره زملائه في المجمع مقرراً للجنة بحوث القرآن ، واضطلعت بوضع كيفية تنفيذ قرارات وتوصيات مؤتمرات المجمع ومتابعة تنفيذها ".(١)

بعد أن اختير عضواً لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في سنة ١٩٦١م ومقرراً للجنة بحوث القرآن ، " اختير مقرراً في لجنة المتابعة ولجنة السنة المطهرة ، وشيخاً في لجان التقنين للمذهبين الحنفي والشافعي ، وكان أيضاً عضواً بمجلس جامعة الأزهر والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومعهد البحوث الجنائية والاجتماعية ، والمجلس الأعلى للفنون والآداب ومجلس محافظة القاهرة ".(٢)

ومن المناصب العلمية التي شغلها الإمام بجانب عمله في التدريس بالكليات المختلفة ، " اختير رئيساً لقسم الشريعة الإسلامية بمعهد الدراسات الإسلامية فدرس فيه تاريخ المذاهب الفقهية ، والأصول والفقه ، وألقى محاضرات في التكافل الاجتماعي والمجتمع الإنساني في ظل الإسلام ".(٣)

" وقد تولى تدريس الشريعة الإسلامية في كلية المعاملات والإدارة (جامعة الأزهر) عامي ١٩٦٣/١٩٦٤ م ".(٤)

هذه نظرة في حياة الإمام العلمية والمناصب التي شغلها في ذلك الوقت منذ تخرجه

(١) عبد المعز عبد الحميد الجزار : **مرجع سابق** ، ص ١٢٧٠ .
(٢) محمد أبو زهرة : زهرة التفاسير ، جـ١ ، **مرجع سابق** ، ص ٦ .
(٣) عبد المعز عبد الحميد الجزار : **مرجع سابق** ، ص ١٢٦٩ .
(٤) أبو بكر عبد الرازق : **مرجع سابق** ، ص ٣١ .

من مدرسة القضاء الشرعي وعمله موظفاً بالحكومة ، ثم بداية مرحلة جديدة منذ انتقاله إلى التعليم الجامعي وتنقله بين العديد من الجامعات المصرية والجامعات العربية والإسلامية ، يتزامن ذلك مع نشاطه من خلال الندوات والمحاضرات في العديد من الأقطار العربية والإسلامية ، وبين العديد من الصحف والمجلات.

صفاته :

اتصف الإمام بالعديد من الصفات التي جعلته موضع إجلال واحترام وتقدير من المحيطين به ، " فقد عرف الشيخ بجرأته في الحق ، وشجاعته في الذود عن حياض الإسلام ودعاته، واشتهر بالعزة وكرامة النفس ، والصلابة والصدع بكلمة الحق ، والذاكرة القوية والبديهة الحاضرة ، والقدرة العجيبة على التوليد والابتكار ، ومقارعة الخصوم بالحجج البالغة ، والبراهين الساطعة والجهاد والمثابرة ، والعمل الدائب لخير الإسلام والمسلمين ".(١)

كل هذه الصفات وغيرها مما اتصف به الإمام من الصفات الأخرى سوف يتم عرض بعضاً منها من خلال بعض المواقف حتى تتضح لنا شخصية الإمام وتكوينه من خلال هذه الصفات ....

فقهه وسعة علمه :

كان الإمام : " من أبرز العلماء الذين تركوا ثراءً عظيماً وتراثاً خالداً للأجيال من بعده ، ومن شوامخ العلم في عصرنا الحديث ، حيث كان علماً من أعلام الفقه والحديث والتفسير ، يشهد له بذلك مؤلفاته العديدة في مختلف فروع العلم والمعرفة ، كما كان علماً من أعلام القانون الجنائي، بل وإماماً من أئمة الفتوى في عصره ، يشهد له بذلك الفتاوى الخاصة به في أعداد مجلة (لواء الإسلام) و(المسلمون) ".(٢)

(١) عبد الله العقيل : **مرجع سابق** ، ص ٥٨٦ .
(٢) أبو بكر عبد الرازق : أبوزهرة إمام عصره ، **مرجع سابق** ، ص ٦٨ .

كان رحمة الله عليه : " عالماً متبحراً في الفقه وأصوله ، وفي علوم القرآن وتفسيره وخطيباً مفوهاً ، وأصولياً متعمقاً ، ومجتهداً يقرع الحجة بالحجة والمنطق بالمنطق لا يشق له غبار ، يسعى دائماً لتقديم الجديد والفريد للمكتبة العربية والإسلامية رافضاً أن تكون كتاباته ترداداً لأقوال الآخرين ، لما عرف عنه من اعتزازه بنفسه ، وبغضه لسيطرة الآخرين بغير حق ".(١)

يقول الدكتور/ محمد رجب البيومي في كتابه (النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين) عن الإمام : " كان مفزع أهل العلم في كل مشكلة تعن ، وكان له من رسوخ القدم ونفاذ البصيرة وبلاغة اللسان وقوة الحجة ما يجعل أشد الناس معارضة له كمن يكبرون فقهه ، ويجلون اتجاهه ".(٢)

شهد للإمام (أبو زهرة) صاحب العلم الغزير ، والمعرفة الواسعة ، والمؤلفات الكثيرة القيمة في مختلف ضروب العلم ومجالات المعرفة كثيرون ممن قرأوا له أو جلسوا معه أو سمعوا عنه .

يقول الدكتور / محمد رجب البيومي : " كانت ثقافة أبي زهرة ثقافة موسوعية إذ لا تجد باباً من أبواب التراث الإسلامي إلا وقد نهل منه أخص ما يحويه حتى إذا امتزج بنفسه ، وخالط فكره ، وجد في نفسه دافعاً إلى التعبير عما استوعب من فكر ، وما انتظم في عقله من مقدمات صادقة تؤدي إلى أصدق النتائج ".(٣)

ويقول المستشار / عبد الله العقيل : " إن المكتبة الإسلامية مدينة للعلامة الكبير أبي زهرة بهذه المؤلفات الإسلامية التي خطها بقلمه ، ودبجتها يداه ، فكانت ثروة ضخمة

(١) محمد أبو زهرة : زهرة التفاسير ، جـ ١ ، **مرجع سابق** ، ص ٦ .
(٢) محمد رجب البيومي : **مرجع سابق** ، ص ٢١٧ .
(٣) **المرجع السابق** : ص ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

وتراثا علميا كبيرا ، حتى قاربت الثمانين كتابا معظمها من المراجع الكبيرة ، فضلا عن المقالات التي كان ينشرها ، والفتاوى التي يحررها ، والتي لم تجمع بعد ، ولو جمعت لكانت كتبا كثيرة في مجلدات".(١)

لقد كان الإمام شغوفا بالبحث والإطلاع والدراسة بشكل مستمر حتى خلال فترة تدريسه بكلية الحقوق فيقول الدكتور / محمد رجب البيومي عن ذلك : " لم يشأ أن يقتصر بمجهوده على مواد الشريعة بالكلية ، بل جمع الطلاب حوله في ندوات أسبوعية يتحدث فيها عن رأي الإسلام في مشكلة تشغل الناس ، وأخذ يقرأ ما بأيدي الطلاب من مؤلفات تتحدث عن القوانين الأوربية ليقف على أسرارها ، وليزنها بما يعرف من آراء الفقهاء في كتب الإسلام ، فاستطاع أن يجعل من طلبة كلية الحقوق عشاقا مخلصين للتشريع الإسلامي".(٢)

ولم يقف الإمام عند فن من فنون المعرفة بل كان دائم البحث والإطلاع فى كل ألوان المعرفة ، " فقد يجد الإنسان عالما متبحرا في الفقه وأصوله ، أو أستاذا في علوم القرآن وتفسيره، أو متخصصا في مقارنات الأديان ، أو متكلما في علم الكلام والجدل ، أو فليسوفا في المنطق والفلسفة ، ولكن إذا بحثنا عن وعاء جامع لكل هذه العلوم لعز ذلك ، إلا أن شيخنا أبا زهرة قد جمع بين كل هذه العلوم والفنون ، فكنت تراه خطيبا مصقعا ، أو فقيها متمكنا ، وطورا أصوليا متعمقا ، ومتكلما مجادلا ، يقرع الحجة بالحجة ، والمنطق بالمنطق وإذا قرأ المرء تفسيره يجده بحراً زخاراً ، وفيضا فياضا ، ومن هنا عظم قصاده، وكثره رواده".(٣)

(١) عبد الله العقيل : **مرجع سابق** ، ص ٥٨٥ .
(٢) محمد رجب البيومي : **مرجع سابق** ، ص ٢٢١ .
(٣) عبد المعز عبد الحميد الجزار : **مرجع سابق** ، ص ١٢٧١ .

obeikandi.com

وبذلك يكون الإمام قد نهل من كثير من فروع العلم والمعرفة ، وقد تحدث في كثير من مجالات المعرفة من فقه وتفسير وحديث ومقارنة أديان ، وله كثير من النشاطات سواء من خلال ندواته أو محاضراته أو خطبه أو لقاءاته ، أو غير ذلك من الأمور التي تدل على فقه الإمام وسعة علمه .

شجاعته وجرأته :

" كان الشيخ (أبو زهرة) أستاذاً شجاعاً في الحق ، والجرأة في الصدع به ، لا يخشى لومة لائم ، وقد لاقى في سبيل ذلك كثيراً من العنت والمتاعب فلم يهن عزمه ، ولم تلن قناته وقد ظل ملتزماً بجهاده في الانتصار للشريعة الإسلامية والمناداة بتطبيقها حتى لبى نداء ربه ، ولعل هذه الميزة فيه – شجاعته في الحق – هي التي ميزته على أقرانه ، وعلماء عصره فهو رجل شجاع يجهر بما يرى وبما يعتقد أمام الناس وأمام السلطان ، والمتتبع لسيرة حياته يجد فيه رجلاً شجاعاً له وجه واحد يلقى به البشر ويلقى به السلطان ويلقى به ربه".(١)

وما كانت صلابة الإمام في الحق إلا نصرة للدين الإسلامي ورغبة في إرساء قواعده وتعاليمه ، " فقد كان رحمة الله عليه يقظاً كل اليقظة لما يمس الشريعة الإسلامية ، فيثور كالبركان، وكان صريحاً كل الصراحة يفيض ما في قلبه على لسانه ، ومن أكرم مواقفه الأخيرة موقفه من مناقشة مشروع قانون الأحوال الشخصية ، وكان في طليعة العاملين في تقنين الشريعة الإسلامية والدعوة إلى أن تكون مصدر التقنين في البلاد الإسلامية ".(٢)

وبرغم ما يترتب على جرأة الإمام وصلابته في إبداء رأيه وإظهار الحق ، فلم يتواني الإمام عن ذلك ، " فقد كانت حياته سلسلة من المواقف الشجاعة في سبيل الحق ضد

(١) ناصر محمود وهدان : **مرجع سابق** ، ص ٢٧ .
(٢) عبد المعز عبد الحميد الجزار : **مرجع سابق** ، ص ١٢٧٤ .

الباطل ، وقد جرت عليه جرأته في الجهر برأيه غضب السلطة فصدرت قرارات في الستينيات بحرمانه من التدريس في الجامعة ، وإلقاء دروسه ومحاضراته في المنتديات العامة ودور العبادة ومن التحدث في الإذاعة والتلفزيون والكتابة في الصحف ".(١)

وللإمام العديد من المواقف التي تدل على صلابته وجرأته ، " موقفه من الربا والتأمين ونظام الحكم ، فقد وقف في وجه الماركسيين وصدع بالحق في نظامهم وكتاباتهم وحاولوا النيل منه بما كان تحت أيديهم من نفوذ في الصحف الكبرى ولكنه صمد وهو على الحق ، وأعطاه هذا الموقف تقديرا وإعجابا بالغين ، وقد كشف هذا الموقف عن جوهر الرجل وثباته ، فإنه لم يدع بعد فرصة إلا عالج فيها هذه القضايا الاجتماعية بروح الإسلام ، وما تزال محاضراته الجامعة عن نظام المجتمع الإسلامي تحمل نبضات قلب مؤمن ثابت على الإيمان لا يخاف الجهر بكلمة الحق ".(٢)

ويذكر الدكتور / محمد رجب البيومي موقفا آخر في شجاعة الإمام وجرأته : " فقد دعي الإمام إلى مؤتمر في العالم الإسلامي ، وقد كان رئيس الدولة الداعية ذا صدى مسموع في الناس، فافتتح المؤتمر بكلمة يعلن فيها ما يسميه (اشتراكية الإسلام) ويدعو العلماء المجتمعين إلى ما يدعو إليه على أنه الحق الوحيد الذي لا ثاني له ، وقد نظر العلماء متحيرين خائفين ، ولكن الأستاذ أبا زهرة يعتلي المنبر في شجاعة ليقول إننا نحن علماء الإسلام الذين يعرفون حكم الله في قضايا الدولة ومشكلات الناس ، وقد جئنا هنا لنصدع بما نعرف ، فعلى رؤساء الدول أن يقفوا عند حدودهم ، فيدعوا العلم إلى رجاله ، وقد تفضلت بدعوة العلماء لتسمع أقوالهم ، لا لتعلن رأيا لا يجدونه صوابا مهما هتف به رئيس

(١) محمد أبو زهرة : العلاقات الدولية كما نظمها القرآن ، **مرجع سابق** ، ص ٧ .
(٢) أنور الجندي : أعلام القرن الرابع عشر الهجري أعلام الدعوة والفكر ، **مرجع سابق** ، ص ٣٧ .

obeikandl.com

فلنتق الله في شرع الله ، وقد فزع رئيس الدولة فطلب عالما يخالف الشيخ في منحاه فلم يجد أحد يتفق معه ، فاحتفوا بأبي زهرة مؤيدين ، وفض المؤتمر بعد الجلسة الأولى ، لأن صاحب الدولة قد وجد الإعصار فخرج مغضبا يزفر ".(١)

ولم تكن جرأة الإمام وشجاعته تهدف إلى الشهرة وفرض الرأي على الآخرين ، بل إنها تهدف إلى كشف الحقيقة ، " فعندما ترك الإمام الماسونية بعد سنة أمضاها معهم عام ١٩٥١م لمعرفة مبادئهم وفكرهم ، أجرت مجلة القوات المسلحة المصرية في شهر آيار- مايو ١٩٦٤م حديثا مع الشيخ وسألته : ألم يوجه إليك أي تهديد إذا أفشيت أي سر من أسرار الجمعية ؟ فأجاب قائلا : إنني لا أخاف إلا المولى سبحانه وتعالى ، ولذلك تعلمت وكنت أتمنى لو أتيحت لي الفرصة لمعرفة أكثر مما عرفت ، حتى كنت أصرح بأكثر مما صرحت ".(٢)

وبرغم ما يترتب على جرأة الإمام وصلابته في إبداء رأيه ، وإظهار الحق فلم يتوانى الإمام عن ذلك ، " فقد كانت حياته سلسلة من المواقف الشجاعة في سبيل الحق ضد الباطل "(٣) ، رغبة في نصرة الدين الإسلامي ، وإعلاء كلمة الحق ، ولم يكن ذلك إلا إيمان وثقة في الله وأن النفع والضر من الله ، فضلا عن ثقته في نفسه وذلك راجع إلى غزارة علمه وكثرة بحثه وإطلاعه بصفة مستمرة .

عفوه وتسامحه :

يؤكد الإمام على هذه القيمة الخلقية بقوله : " إن الحلم والتسامح خلق قادة الفكر والدعاة إلى الحق ، كما قال الله تعالى

(١) محمد رجب البيومي : **مرجع سابق** ، ص ص ٢١٨ ، ٢١٩ .
(٢) حسين عمر حمادة : **مرجع سابق** ، ص ٦٣ .
(٣) محمد أبو زهرة : العلاقات الدولية كما نظمها القرآن ، **مرجع سابق** ، ص ٧ .

obeikandl.com

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل : ١٢٥ ،

وإن الغلظة تولد الجفوة والانتقام يولد الحقد ، ولا يتفق هذا مع ما يتحلى به الداعي إلى الله ".(١)

وفي موضع آخر يؤكد على هذا الخلق بقوله : " العفو والتسامح ينبعان في قلب سليم ، وخلق كريم ، واستمع إلى قوله تعالى

﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ فصلت : ٣٤ ،

وإن العفو والسماحة لا يسكنان إلا قلباً خالياً من الأحقاد والضغائن ، وإن محاسبة كل امرئ على ما كان يعمل ، إنما تشد صاحبها إلى الوراء فلا يكون تفكيره إلى ما يجب عليه القيام به في المستقبل ، بل يكون تفكيره في شفاء غيظ من أفكاره التي كانت في الماضي ".(٢)

وبرغم ما اتصف به الإمام من غزارة علمه وفقهه ، وجرأته في الحق ، وصلابته في الرأي ، " كان يحمل قلباً رقيقاً لا يعرف غشاً ولا مكراً،ويلقي طلابه جميعاً سليم الصدر بادى الابتسام ، ويحسبه من لا يعرفه متساهلاً لأن في سعة علمه واستبحار فقهه يعرف كثيراً من الأقوال والآراء والمذاهب القديمة والجديدة ، ويحمل أقوال مخالفيه غالباً على وجهة نظر من هذه الوجهات التي خبرها ودرسها ".(٣)

(١) محمد أبوزهرة : **الإمام الصادق حياته وعصره - آراؤه وفقهه** ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د.ت ، ص ٨٢ .
(٢) ـــــ : **خاتم النبيين** ، جـ ١ ، القاهرة ، دار الفكر العربي ،١٩٩٣، ص ٢٠٨ .
(٣) أبو بكر عبد الرازق : **مرجع سابق** ، ص ٣٨ .

ولم يكن عفو الإمام وتسامحه في أساسه ضعف في الموقف أو الشخصية أو قلة علم وإنما كان هدفه إرساء قيم خلقية معينة في نفوس سامعيه ، وإدخال روح المرح والبهجة في محاضراته وندواته، " لقد اتصف الإمام(أبو زهرة) بالعفو برغم انفعالاته لمواقف بعض الطلبة الذين يجاوزون حدودهم ، ويخرجون عن المألوف ، فكان رحمة الله عليه يقبل العذر ويعفو عن الطالب، بل ويجزل له العطاء من ماله الخاص إمعانا في إثبات عفوه ، كما كان مرحا من خلال قفشاته اللاذعة والهادفة في نفس الوقت ، ولذلك كانت محاضراته يقبل عليها طلابه في الدراسة وغيرها ويحرصون عليها ، لأنه من خلال عفوه وصفحه كان يهدف إلى إرساء قيم خلقية ".(١)

ولم تقتصر سماحة الإمام وعفوه على حياته العملية فقط ، بل كان كذلك في بيته ومع أفراد أسرته ، " فعندما كان ينتهي الإمام من معايشة كتبه ومن القراءة ، كان يعايش أبناءه وزواره، وكان مع أبنائه الأب الإنسان البسيط الحنون على أبنائه ، وقد كان يغضب أشد الغضب عندما يرى أو يسمع أحد أبنائه أساء في معاملة أحد الخدم ، فكان يسارع لإرضاء الخادم ، ويعطيه بسخاء ليعود أسعد مما كان ، وكان رضوان الله عليه دائم السؤال عن جيرانه وأصدقائه ".(٢)

لقد كان لعفو الإمام وتسامحه أكبر الأثر في جعله موضع حب وإجلال واحترام ممن يلتفون حوله ، وينهلون من علمه وفقهه ، حتى صار لهم القدوة والمثل الأعلى .

مروءته وكرم أخلاقه :

نشأ الإمام معتزا بفكره ونفسه ، رافضا كل أنواع النفوذ والسيطرة والظلم ، وفي حديثه عن هذه النشأة يقول : " لقد ابتدأت فقيرا في أسرة بين الفقر والغنى ، ولكن لم ينل

(١) أبو بكر عبد الرازق : أبو زهرة في رأي علماء عصره ، **مرجع سابق** ، ص ص ١٢٥ ، ١٢٧ .
(٢) ـــــ : أبو زهرة إمام عصره ، **مرجع سابق** ، ص ٥٩ .

الفقر من إحساسي بنفسي ، واعتزازي بديني وخلقي ، كاسرتي التي كانت عزيزة في مالها عزيزة في نفسها ، ولم تصل إلى درجة الثراء قط ، ولكنها كانت موضع الاحترام والتقدير ولما دخلت موظفا في الحكومة قنعت ، وكنت مدرسا يقدر بين تلاميذه وأولياء أمورهم ، وعزفت عزوفا كاملا عن الدروس الخصوصية ، وجاءتني رجاءات كثيرة من أولياء أمور الطلبة لأخذ دروس خصوصية فكنت أردها ، وأقصي ما أوافق عليه لولي الأمر وأنا أدرس في المدارس الثانوية أن أنقل التلميذ إلى فصولي التي أدرس فيها ".(١)

ومن المواقف التي تدل على مروءة الإمام وكرم أخلاقه مد يد العون والمساعدة للمحتاجين والمعسرين من أصحابه حيث : " أن زميل له في دراسته في مدرسة القضاء الشرعي في أوائل الثورة عام ١٩٥٣م كان قد وصل إلى مدير عام للتعليم بالجيزة ، تكلم في حقه البعض ، فما كان إلا أن أخرجوه في عملية التطهير ، فما كان من الشيخ (أبي زهرة) إلا أن عمل على إلحاقه بالتدريس بكلية الحقوق ورد له اعتباره ووفى له ".(٢)

ولم تكن مساهمات الإمام وكرم أخلاقه قاصرة على مجرد مساعدة الآخرين ، بل كان يقوم بنشر مقالاته وأبحاثه في المجلات الإسلامية دون أخذ أي مبلغ من المال ، كما كان يحضر الندوات والمؤتمرات دون أن يأخذ أي مقابل نقدي كما كان يفعل غيره ، ويؤيد ذلك المستشار / عبد الله العقيل فيقول: " شرفنا به بالكويت بزيارات ثلاث ، حاول إخواننا بجمعية الإصلاح الاجتماعي أن ينزل الشيخ على رجائهم بقبول المكافأة التي تخصصها الجمعية لمن تستقدمهم من المحاضرين، ولكنه أصر وأبى ، وكذلك شأنه مع مجلة (المجتمع) الكويتية التي تصدرها الجمعية ، وقال لهم : أنتم تقومون بعمل خيري إسلامي

(١) أنور الجندي : أعلام القرن الرابع عشر الهجري أعلام الدعوة والفكر، **مرجع سابق** ، ص ٣٩ .
(٢) أبو بكر عبد الرازق : أبو زهرة إمام عصره ، **مرجع سابق** ، ص ١٦١ .

وهذه مشاركة مني معكم في الخير، وأنتم أصحاب الفضل بهذا ".(١)

وبرغم ما تعرض له الإمام من محن وصعاب، ومحاولات النيل منه من بعض أعدائه، إلا أن ذلك لم يكن حائلا يمنعه عن المضي قدما في نصرة الإسلام " فطبيعة المرحلة التي كان يعيشها الإمام تجعله يضحك كثيرا عندما يرى أعداءه يحاولون النيل منه ويجتاحهم بقدرته الأدبية والنفسية، وقد كان من المفروض ألا يمنع مثله من الكتابة والفتيا ولكنه منع سنين، وربما يبكي غيره لهذا الحرمان أو هذا التضييق، ولكنه ما أحس شيئا من الخسار أصابه ،أو من الدنيا فاته، فكبرياء الرجل، جعلته فوق كل هذه المناوشات "(٢) فلم تكن مروءة الإمام وكرم أخلاقه إلا نتيجة طبيعية لتلك النشأة التي نشأ عليها الإمام فكان في مقدمة الأئمة والأعلام في عصره.

مؤلفاته:

كان الإمام عالماً موسوعياً لم يترك مجالاً من المجالات إلا وتحدث فيه فقد كان – رحمة الله عليه – جل اهتمامه هو الدفاع عن الشريعة الإسلامية ورجالها، والتصدي لكل مدارس الفكر المنحرف في هذا العصر، الذين كانوا يحاولون النيل من الإسلام وتشويه صورة الإسلام والمسلمين.

" إن المكتبة الإسلامية مدينة للعلامة الكبير (أبو زهرة) بهذه المؤلفات الإسلامية التي خطها بقلمه، ودبجتها يداه، فكانت ثروة ضخمة، وتراثاً علمياً كبيراً، حيث قاربت الثمانين كتاباً، معظمها من المراجع الكبيرة، فضلاً عن المقالات التي كان ينشرها والفتاوى التي يحررها، وهى لم تجمع بعد ولو جمعت لكانت كتباً كثيرة في مجلدات".(٣)

---

(١) عبد الله العقيل: **مرجع سابق**، ص ٥٨٩.
(٢) أبو بكر عبد الرازق: أبو زهرة إمام عصره، **مرجع سابق**، ص ٥٠.
(٣) عبد الله العقيل: **مرجع سابق**، ص ٥٨٥.

ترك الإمام العديد من المؤلفات والتي يمكن تقسيمها إلى :

* الفقه والتشريع الإسلامي .
* التفسير وعلوم القرآن .
* علم مقارنة الأديان .
* الدعوة وعلومها .
* المجتمع الإنساني في ظل الإسلام .

وسوف يتحدث الباحث عن كل قسم من هذه الأقسام وما اشتمل عليه من مؤلفات بهدف الوقوف على مؤلفات الإمام وما تحتوي عليه من موضوعات .

أولاً : في مجال الفقه والتشريع الإسلامي :

لقد أثرى الإمام المكتبة العربية والإسلامية بالعديد من المؤلفات في هذا المجال فهي لم تقتصر على أبواب معينة في الفقه أو التشريع ، بل شملت العديد من جوانبه .

فكان من أشهر هذه المؤلفات : " محاضرات في الوقف ، ومحاضرات في عقد الزواج وآثاره ، وأصول الفقه ، وأحكام التركات والمواريث ، والجريمة في الفقه الإسلامي والعقوبة في الفقه الإسلامي ، والميراث عند الجعفرية ، والأحوال الشخصية ، والملكية ونظرية العقد وشرح قانون الوصية ، والولاية على النفس ".(١)

لقد حرص الإمام على الحديث عن علم أصول الفقه الذي هو مجموعة من القواعد التي تبين للفقيه طرق استخراج الأحكام الشرعية من الأدلة ، ففي بيان فضل هذا العلم يقول الإمام : " ذلك العلم منهاج قويم لفهم معاني الألفاظ القانونية ، وهو في ذاته فقه دقيق عميق ، يأخذ منه الطالب منهاجا ومقاييس ضابطة،ويأخذ منه فوق ذلك فقها يربي

(١) محمد أبو زهرة : زهرة التفاسير ، جـ ١ ، **مرجع سابق** ، ص ص ٨ ، ٩ .

ملكاته،ويقوم مداركه القانونية".(١)

ونظرا لأهمية علم الأصول ومكانته ، " قام الأستاذ (أبو زهرة) بتدريس علم الأصول بكلية الحقوق دراسة منتجة لا تتجه إلى قضايا الزمن الغابر وحدها ، بل جعل التطبيق العملي للقاعدة الأصولية مما يشغل بال الناس في عصرهم ".(٢)

فعلم الأصول هو الأساس في فهم الشريعة الإسلامية ومنهاجها ، ومصادرها ، وهو السبيل في تحقيق وتطبيق أحكامها ومقاصدها ، دون الخروج عن حدودها وغايتها فكانت عناية الإمام بهذا العلم وبيانه لما له من الأهمية .

ولم يقتصر الإمام في دراساته الفقهية على مجرد الكتابة عن موضوعات فقهية وما فيها من مذاهب فقهية ، بل عقد الكثير من المقارنات بين ما نصت عليه الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية المعمول بها في كثير من الدول لبيان مقام الشريعة الإسلامية وأفضليتها ومن هذه الموضوعات كتاب (الولاية على النفس) الذي يتعلق بمرحلة عمرية هامة وهي الطفولة وقد حرص الإمام في هذا الكتاب على توضيح مدى : " عناية الإسلام بالطفولة ، ومن يكون في مثل عجزها، وبيان مقام الشريعة الإسلامية في حماية الضعفاء وآثار إهمال الآباء والدولة للصغار على المجتمع ، ومناقشة آراء من يزعمون أن كثرة الطلاق وتعدد الزوجات هي سبب التشرد والانحراف للأحداث ، وقد راعيت في هذه الدراسة أن تكون دراسة مقارنة بين المذاهب الفقهية ، والقوانين المعمول بها في مختلف البلاد العربية".(٣)

وفي دفاعه عن الشريعة الإسلامية ، وما ادعاه البعض من أنها مجرد حلول جزئية

(١)محمد أبو زهرة : **أصول الفقه** ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ٢٠٠٤م ، ص ٧ .
(٢) محمد رجب البيومي : **مرجع سابق** ، ص ٢٢٢ .
(٣) محمد أبو زهرة : **الولاية على النفس** ،القاهرة ، دار الفكر العربي ، د.ت، ص ص ٧ ، ٨ .

وضع كتابه (الملكية ونظرية العقد) الذي يقول عنه : " كان جد لازم على أن أعني بقواعد الشريعة وأن أضعها في مطارح أنظارهم ، عساهم يبصرونها ، وأن أقربها من أيديهم عساهم يلمسونها فجمعت من القواعد في هذا الكتاب ما قد يرد الحق إلى نصابه ، وينصف حقيقة طالما تجني عليها النظر العاجل ، والبحث الناقص الذي لا يعتمد على الاستقراء والتتبع".(١)

ولم تقتصر مؤلفات الإمام في هذا المجال على مجرد دراسة أحكام ومقاصد الشريعة الإسلامية ، بل شملت مجموعة من المؤلفات تحدث فيها عن ترجمات كاملة عن ثمانية من الأئمة المجتهدين الذين ظهروا في أزمنة متعاقبة ، كان لهم الفضل في توضيح أحكام الشريعة ومقاصدها، وفي استنباط الأحكام من الأدلة والنصوص ، فقد تحدث عن حياتهم ونشأتهم وأسرارهم وآمالهم وتحركاتهم ، كما عرض بعضاً من آرائهم في العديد من القضايا الفقهية وهذه المؤلفات هي : " الإمام زيد ، الإمام الصادق ، الإمام أبو حنيفة والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل ، والإمام ابن حزم الأندلسي والإمام ابن تيمية".(٢)

حيث أفرد لكل إمام منهم كتاباً خاصاً به تحدث فيه عن حياته وعصره وآراؤه وفقهه . ويتحدث الإمام عن هذه المؤلفات فيقول : " كتبت في الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب التي تقاسمت الجماعة الإسلامية من حيث انتشارها وذيوعها والأخذ بها ، ولما وفقني الله تعالى إلى إخراج هذه المجموعة الفقهية والتاريخية إلى جمهرة العلماء والمثقفين في مصر، اتجهت النية إلى دراسة الطبقات التي تلي الأئمة الأربعة من المجتهدين الأحرار

(١)محمد أبو زهرة: **الملكية ونظرية العقد** ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٦م ، ص ٤ .
(٢) ـــــــــــ : زهرة التفاسير ، جـ١ ، **مرجع سابق** ، ص ٩ .

أو المجتهدين المنتسبين إلى مذهب من مذاهبهم ، لأن ذلك دراسة لفقه الجماعة الإسلامية وتعرف لأدواره ، وتقص لثمرات ما غرسه أولئك الأئمة أصحاب المذاهب الأربعة ، فهو تكميل لا إنشاء واستمرار لا ابتداء ".(١)

ثانياً : في مجال التفسير وعلوم القرآن :

لم تكن مؤلفات الإمام قاصرة على مجال الفقه والتشريع الإسلامي بل كان علماً من أعلام التفسير وعلوم القرآن في زمانه ، تشهد له بذلك مؤلفاته في هذا المجال ، ففي مجال تفسير القرآن الكريم وضع الإمام تفسيره المسمى (زهرة التفاسير) والذي اشتمل على عشر مجلدات ابتدأ فيها بتفسير القرآن من سورة الفاتحة وحتى قوله تعالى

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

النمل:١٩

وعن حبه واهتمامه بهذا الكتاب العزيز منذ صغره يقول الإمام : " منذ كنت طالباً أشدوا في طلب العلم، وأنهل من معارفه على قدر طاقتي ، وأنا أتشوق لمعرفة القرآن الحكيم وأتعرف أسرار بيانه ومعانيه ، وأرى أن علمه هو الشريعة ، وأنه ما ترك صغيره ولا كبيرة منها إلا أحصاها ، وكنت أميل إلى علم تفسير القرآن الكريم يصغي قلبي إليه ، ويصبو فكري نحوه وذلك من بين علوم الإسلام وعلوم الحياة التي كانت تدرس ، فكان لكل علم ناحية في نفسي أما علم القرآن فكان قلبي كله له ".(٢)

لم يعتمد الإمام في تفسيره على ما كتبه السابقون فقط ، بل اتجه إلى ما أدركه عقله وتفكيره في فهم وتوضيح هذه الآيات ، واعتبر أن المفسر الأول لكتاب الله هو النبي ﷺ

(١) محمد أبوزهرة : **ابن تيمية حياته وعصره - آراؤه وفقهه** ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ٢٠٠٠ م ، ص ٥ .
(٢) ـــــ : زهرة التفاسير ، جـ١ ، **مرجع سابق** ، ص ص ١٣،٢١ .

ولقد أثنى كثير من العلماء على هذا التفسير واعتبروه من أجلِّ التفاسير وأيسرها فيقول الدكتور/محمد رجب البيومي: " لقد كان تفسيراً يحمل طابع المثقف المستنير، في غير فضول يلجأ إلى الاستكثار والتزيد، لذلك نجده يفسر كتاب الله في أعداد مجلة " لواء الإسلام".(١)

وفي مجال علوم القرآن ترك الإمام جهوده الواضحة في كتابه " المعجزة الكبرى القرآن الكريم "، وعن ظروف كتابته يقول الإمام : " لقد حاولنا أن نملأ نفوسنا من ينابيع الهداية فيه، وأن نشفي أمراض قلوبنا بما فيه من دواء، وأن نكشف الغمة بما فيه من حكم وعبر، لذلك صار القرآن وعلم القرآن وكل ما يتعلق به هدفاً لنا مقصوداً، وأملاً منشوداً لا نبغي غيره ولا نطلب سواه فكان لزاماً علينا أن نخص كتاب الله ببحث ودراسة، وأن نخرج من ذلك البحث كتاباً نرجو أن يكون قيماً في ذاته وإن كان لا يعلو أن يكون مناسباً لموضوعه. فموضوعه أعلى من أن تناهده همتنا، وأن تتسامى إليه عزيمتنا لأنه كتاب الله تعالى ".(٢)

وقد اتجه بالحديث فيه عن إعجاز القرآن ونزوله وجمعه وكتابته وعلومه وجدله وغير ذلك من الموضوعات الأخرى، ويتحدث الدكتور / محمد رجب البيومي عن هذا المؤلف فيقول : " أصدر الإمام موسوعته عن القرآن الكريم جامعة بين القديم والجديد حين تحدثت عن نزول القرآن، وجمعه وتدوينه وقراءته ورسم حروفه، وترجمته إلى اللغات وناسخه ومنسوخه بروح جديدة تتصل فيها أقوال السلف بآراء من خلفهم من كبار الدارسين وللإمام وقفة مع كل رأي تأييداً وتثبيتا، مع معارضته لكل ما نقل من زيغ لا يستند إلى دليل".(٣)

(١) محمد رجب البيومي : **مرجع سابق** ، ص ٢٣٦ .
(٢) محمد أبو زهرة : **المعجزة الكبرى القرآن** ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٨م ،ص٤.
(٣) محمد رجب البيومي : **مرجع سابق** ، ص ٢٣٦ .

ثالثاً : في مجال مقارنة الأديان :

لم يتوقف الإمام عند هذا العلم بل أبدع فيه ، وتناوله بالبحث والدراسة على أساس من العدالة والإنصاف ، ويتحدث الإمام عن ذلك فيقول: " لقد درست ما وسعني الوقت والتمكن من الإطلاع، فقرأت ما في الديانات القديمة ، وما عليه الديانات السماوية بعد أن حالت وتغيرت لأعرف ما فيها من قضايا ما يتفق مع حكم العقل ، وتستسيغه الأفكار ومالا يقبله العقل بل يلفظه كما يلفظ اللسان مسيخ الطعام ، وما تمجه الأذواق ".(١)

وبعد دراسة واطلاع من الإمام على هذه الديانات سواء القديمة منها أو السماوية بدأ في كتابة محاضراته فيقول : " لقد كتبنا تلك المحاضرات بروح المحقق الذي يجمع الحقائق، ويعرضها وقد تماسك بعضها ببعض ليتكون من ذلك مجموعة علمية تهدي ولا تضل ، وما كنا نجهد التاريخ لنسيره ، ولكنا خضعنا له ، وهو الذي كان يسيرنا ، وكنا في ذلك كالقاضي العادل يخضع للبيانات التي تكون بين يديه ، وهي التي تحكم الحكم الذي نسجله لا نغير ولا نبدل ، وننحرف بها عن النتائج التي تؤدي إليها مقدماتها ، فنسير حيث يسير بنا الدليل من غير انحراف ولا تحريف ، وما كانت البينات التي بين أيدينا من مصادر إسلامية أو من أعداء المسيحية ، بل كانت من كتاب المسيحيين أنفسهم التي سجلوها في تاريخها كتبها المتقدمون ورددها المتأخرون، فهي شهادات من أهلها استنطقناها فنطقت،واستهديناها فهدت واسترشدناها فأرشدت وما ضنت".(٢)

لقد كتب الإمام في هذا المجال كتابين يقول عنهما : " قسمت الدراسة إلى قسمين قسم الديانات القديمة الباقي بعضها إلى اليوم ، وقد درست فيه المصرية القديمة والبرهمية والبوذية، والكونفشيوسية ، وفي القسم الثاني النصرانية بوصفها الحاضر وقولها ومجامعها

(١) محمد أبو زهرة : مقارنات الأديان الديانات القديمة ، **مرجع سابق** ، ص ٣ .
(٢) ـــــ : **محاضرات في النصرانية** ، ط ٥ ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٧م، ص ص ٣ ، ٤ .

وفرقها،ولقد ألقيت هذا الذي وجدته في الديانات القديمة دروساً في كلية أصول الدين ومعهد الدراسات الإسلامية ".(١)

رابعاً : في مجال الدعوة وعلومها :

لم يتوقف جهاد الإمام منذ بداية حياته وحتى نهايتها في إرساء تعاليم الدين الإسلامي، ومحاربة كل فكر متطرف ومنحرف ، برغم ما تعرض له من محن وصعاب وذلك من خلال مؤلفاته وخطبه ومحاضراته وندواته ، فجميع مؤلفات الإمام في مختلف فروع العلم والمعرفة هي دعوة صريحة وواضحة إلى الدين الإسلامي والعقيدة الإسلامية بهدف تحقيق قدر من الرقي والازدهار والرفعة والسيادة لهذا الدين .

أما كتاباته في مجال الدعوة على وجه الخصوص فهي كثيرة وتأخذ أشكالاً متعددة من هذه المؤلفات كتابه (الدعوة إلى الإسلام) الذى : " أكد فيه على وجوب الدعوة على كل واحد من المسلمين اقتداءاً بسيد المرسلين ﷺ وصحابته الكرام والتابعين من بعدهم، وعملاً بقول المولى عز وجل

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ النحل : ١٢٥

" وإنه لا تكليف من غير إعلام ولا ثواب ولا عقاب من غير علم بالرسالة ودعوة إليها، فإذا كان الإسلام ديناً عاماً وديناً خالداً يخاطب الأجيال كلها ، فلابد من معلمين داعين ، ولابد من دعوة دينية مستمرة يتنقل فيها بين البشر ، ليتحقق العلم بهذا الدين الحنيف الذي هو دين الله تعالى كما قال تعالت كلماته في محكم التنزيل

(١) محمد أبوزهرة : مقارنات الأديان الديانات القديمة ، **مرجع سابق** ، ص٤ .

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ آل عمران من١٩ ".(١)

ولا تقوم الدعوة إلى الإسلام على مجرد حفظ النصوص وكثرة الإطلاع والمذاكرة ممن يقومون بأعباء الدعوة ، بل إن هناك ما يسمى (فن الخطابة) والقدرة على التواصل بين الداعي والمدعويين من خلال مجموعة من الأسس والقواعد ، ذكرها الإمام في مؤلف خاص بها وهو (الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب) وهو من أبرز ما كتب في هذا المجال ، بما يساعد في تربية وتدريب الخطباء والدعاة والوعاظ ، وبما يسهم في نشر الدعوة الإسلامية على أسس سليمة .

يقول الإمام عن هذا الكتاب : " ولم أقصد بكتابتي في هذا أن تكون مادة يدرسها الدارس فيكون خطيباً ، فإننا لا نعلم أن كتاباً يجعل من العيي فصيحاً ، ويفك عقدة اللسان فيكون طليقاً ، ويبث في قارئه شعوراً حياً فياضاً يجري على لسانه عبارات قوية تهز الحس وتملك النفس ، بل قصدت بكتابتي أن تكون مرشدة لمن عنده استعداد للخطابة ويريد أن ينميه ، فهي تنير له السبيل ليسير على هديه ، ويكون على بينة من أمره ، ولا يكون كحاطب ليل ، وقصدت أيضاً أن تكون كاشفة عن السر في تأثير الخطباء واستيلائهم على مشاعر من يخاطبونهم ، واجتذابهم لنفوسهم ، وإصابتهم لشغاف قلوبهم "(٢) ، فهذا الكتاب قد ركز فيه على توضيح أسلوب من أبرز أساليب الدعوة وأكثرها شيوعاً وانتشاراً بين جموع البشر وله تأثير كبير في إحداث أي تغيير في نفوس السامعين ألا وهو أسلوب الخطابة .

هذا فيما يتعلق بالقسم الأول من كتاب الخطابة ، أما فيما يتعلق بالقسم الثاني من هذا الكتاب وهو (تاريخها في أزهر عصورها عند العرب) فإن الإمام يقول عن هذا

(١)محمد أبو زهرة: الدعوة إلى الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص١٦ .
(٢) محمد أبو زهرة : **الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب** ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٣٤م ص ص ٣ ، ٤ .

القسم : " اتجهت فيه إلى بيان الخطابة في تدرجها علواً وانخفاضا في تلك العصور متحرياً أن أرد الأمور إلى أسبابها ، والظواهر إلى عللها ، وقد حاولت أن أبين في كل عصر ألفاظ الخطابة وأساليبها ومعانيها وأحوال الخطباء ، موازناً في ذلك بينه وبين العصور الأخرى لتكون للخطابة صور واضحة في ذهن القارئ ، وليرى الأدوار التي تعرض للمعاني والأغراض والألفاظ والأساليب تبعاً لحاجات العصر ، ومقتضيات الاجتهاد ، وشئون السياسة ".(١)

ومن أبرز ما كتب في هذا المجال هو كتاب " خاتم النبيين " الذي يقع في جزأين تحدث فيهما عن سيرة النبي ﷺ وبعثته وهجرته ، وما لاقاه من قومه من جحود وتعنت وتحدي حتى لا تنتشر دعوته إلى الدين الإسلامي في كافة ربوع الأرض ، وما دار بينه وبين قومه وبينه وبين الأمم الأخرى ، وقد " حاول أبو زهرة أيضاً القصد في القول مدركاً أنه مهما أطنب فإنه لا يصل إلى الغاية التي ينشدها ولن يبلغ الشأو أيضاً ، ولذلك اجتهد فيما هو تحت سلطان قدرته ، ومع كل ذلك استطال القول ، وإن لم يدرك النهاية ، لأنها فوق قدرة أي كاتب مهما كان عظيماً ".(٢)

ولم يقتصر الإمام في مؤلفاته على مجرد الحديث عن الدعوة الإسلامية وتاريخها وأساليبها وانتشارها ، بل تحدث عن أمور أخرى كان لها أكبر الأثر في عرقلة مسيرة الدعوة إلى الإسلام نحو الازدهار والانتشار ، وذلك من خلال مجموعة من المؤلفات تحدث فيها عن المذاهب الإسلامية سواء كانت فقهية أم سياسية أم عقائدية ، وما ترتب على ظهور هذه المذاهب في بث روح الفرقة والاختلاف وذلك من خلال مؤلفه (تاريخ المذاهب الإسلامية) وفي كتابه (تاريخ الجدل) تحدث عن الاختلاف ومنشؤه وأسبابه حيث قال : " لا جدل إلا

(١) **المرجع السابق** : ص ٤ .
(٢) أبو بكر عبد الرازق : أبو زهرة إمام عصره ، **مرجع سابق** ، ص ٩٣.

حيث الاختلاف في إدراك حقيقة من الحقائق ، وأن ذلك النوع من الاختلاف الفكري قديم بقدم الإنسان في هذه الأرض ، ابتدأ معه حيث ابتدأ ينظر إلى الكون فينشده بعظمته وتأخذه الحيرة في إدراك كنهه وحقيقته وإذا كان العلماء يقولون أن الإنسان من يوم نشأته أخذ ينظر نظرات فلسفية إلى الكون فلابد أن نقول : إن الصور والأخيلة التي تثيرها تلك النظرات تختلف في بني الإنسان باختلاف ما وقعت عليه أنظارهم ،وما أثار إعجابهم وكلما خطا الإنسان خطوات في سبيل المدنية والحضارة اتسعت فرجات الخلاف ، حتى تولد من هذا الاختلاف المذاهب الفلسفية ، والديانات غير المنزلة ، وغير ذلك "(١) ، وبذلك يكون الإمام ممن كان لهم الفضل في الدعوة إلى الإسلام سواء من خلال خطبه ومحاضراته وندواته أو من خلال مؤلفاته .

خامساً : في مجال تنظيم المجتمع الإنساني :

ترك الإمام في هذا المجال مجموعة من المؤلفات والتي نادى فيها بضرورة تنظيم المجتمع الإنسانى في ضوء الإسلام وتعاليمه ، ومن أبرز هذه المؤلفات : " المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، التكافل الاجتماعي في الإسلام ، العلاقات الدولية في ظل الإسلام ، تنظيم الإسلام للمجتمع ، تنظيم الأسرة وتنظيم النسل ، الوحدة الإسلامية ، نظرية الحرب في الإسلام ".(٢)

لقد دعا الإمام في هذا المجال إلى إيجاد مجتمع فاضل من خلال الدعائم التي أرسى قواعدها الدين الإسلامي والتي تقوم على أساس الوحدة بين الأفراد والجماعات ، وتحقيق قدر من التآلف والتكاتف لإيجاد مجتمع قوى قادر على مواجهة الآخرين ، وتحقيق نوع من التكافل الاجتماعي بين أفراده دون المساس بالملكية الفردية أو الجماعية ، وهذا لن يتم إلا

(١) محمد أبو زهرة : **تاريخ الجدل** ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ٢٠٠٣م ، ص٧ .
(٢) _____ : زهرة التفاسير ، جـ١ ، **مرجع سابق** ، ص ص ٩ ، ١٠ .

في إطار الالتزام بما جاء في كتاب المولى عز وجل وسنة نبيه ﷺ .

ويتحدث عن ذلك الإمام فيقول : " الإسلام جاء لإيجاد مجتمع فاضل تتعاون فيه كل القوى بحيث لا يطغى فريق على فريق ، وأول مظهر للمجتمع الفاضل في الإسلام هو وجود رأي عام فاضل يتعاون على الخير ودفع الشر ، فإن المجتمع في مظهره العام يكون بيئة صالحة لأن تترعرع في ظلها الفضيلة ، وتختفي من نورها الرذيلة ".(١)

ومن الموضوعات التي كانت محل عناية من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية بصفة عامة ، ومن الإمام (أبو زهرة) بصفة خاصة موضوع (المجتمع الإنساني في ظل الإسلام) وعن إسناد هذا الموضوع للإمام والكتابة فيه يقول : " عهد إلى الزملاء الكرام أعضاء مجمع البحوث الإسلامية أن أكتب في هذا الموضوع على أن يكون من ضمن موضوعات مؤتمره الجامع لمثلي علماء الإسلام في كل البلاد الإسلامية ، وقد قبلت إزاء ذلك القيام بهذا الواجب والموضوع مترامي الأطراف متسع الجوانب ".(٢)

وعند عرض الإمام لهذا الموضوع ومناقشته في المؤتمر : " مهد له بمقدمة بين فيها صلاحية الإسلام للتطبيق في كل زمان ومكان، ثم ذكر ما يؤيد ذلك في الموضوعات التي دار حولها بحثه ، فبين العقيدة الإسلامية ودعائمها وتأثيرها على النفوس والعقول ، كما تحدث عن الوحدة الإنسانية وضرورة التعارف والتعاون بين بني الإنسان ، ثم انتقل للحديث عن الشريعة الإسلامية وعمومها والمساواة بين الناس على أسس ثلاثة : العدل والفضيلة الإنسانية والمصلحة ، كما تناول الأسرة والأصل العام للحكم في الإسلام والحريات ".(٣)

وعن موضوع (تنظيم الأسرة) وظروف كتابته يقول الإمام : " طلب زملائي

(١) محمد أبوزهرة : **التكافل الاجتماعي في الإسلام**،القاهرة ، دار الفكر العربي، د.ت ، ص ٧ .
(٢) _____ :**المجتمع الإنساني في ظل الإسلام**،القاهرة ، دار الفكر العربي ، ٢٠٠٤م ، ص٣ .
(٣)محمد أبو زهرة : المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، **مجلة الأزهر**، جـ٤، السنة ٣٨ ، القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية ، جمادى الآخر ١٣٨٦هـ أكتوبر ١٩٦٦ م ، ص ٤٢٩ .

أعضاء مجمع البحوث الإسلامية وفقهم الله لرفع شأن الإسلام إلى أن أكتب بحثاً في تنظيم الأسرة،وأدخلوا فيه الآن ما يسمى تنظيم النسل أو تحديده أو ضبطه ، وأن الموضوع في ذاته ذو شعب كثيرة وفروع مختلفة وأبواب متعددة ، ولذا نكتفي في هذا المقام بما يثار حوله الجدل في هذه الأيام من أبواب الزواج ، ومتى ابتدأ الكلام ، وكيف عالجت الأمم الإسلامية الأمور وأطفأت ما أثير من غبار ، وما ضج به بعض الناس حول المبادئ الإسلامية والقواعد المقررة والأحكام القرآنية الثابتة ".(١)

وفي كتابة (العلاقات الدولية في الإسلام) فقد تعرض فيه : " لبيان الوحدة الإنسانية ، ونظرة الإسلام نظرة شاملة لكل بني الإنسان ، وأن العلاقات الدولية ككل العلاقات الاجتماعية والأحادية تقوم على الرحمة والمودة والعدالة والوفاء بالعهود والفضيلة فإنها كما تنظم علاقة الآحاد ، تنظم علاقات الجماعات والدول ، وقد بينت أنه لا فضل لجنس على جنس ولا لون على لون ، وأن الجميع سواء أمام الله ، فيجب أن يكونوا في المعاملة الإنسانية على سواء ، وأنه يجب أن تتعارف الشعوب وتتعاون وتتلاقى ، وقد أيدت كل ما تعرضت له بالقرآن والسنة وأعمال السلف الصالح وأقوال الفقهاء ".(٢)

ومن المؤلفات التي أكد فيها على ضرورة توحيد الصف الإسلامي في مواجهة من يتربصون بالإسلام ورجاله كتاب (الوحدة الإسلامية) والذي بين فيه أن : " الفرقة بين المسلمين هونت أمرهم ، وجعلتهم حجة على الإسلام ومبادئه ، حتى لقد قال الأعداء : لو كان الإسلام خيراً، ما كان أهله على هذه الحال من الخلل والاضطراب والبعد عن أسباب القوة ، وقد تحكموا فينا ، فإن حاولنا أن نجتمع خذلونا ، وأي غربة للإسلام أشد من أن من

(١) _____ : **تنظيم الأسرة وتنظيم النسل**،القاهرة ، دار الفكر العربي،١٩٨٨م ، ص ٧ .
(٢) محمد أبوزهرة : **العلاقات الدولية في الإسلام** ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٩٥ ، ص ١١ .

يدعو إلى الوحدة الإسلامية تكون دعوته غريبة ، وصوته منكراً ، كأنه يهاجم الإسلام وفي كل الأحوال تكون دعوته صرخة في واد " [١] ، ففي هذا المؤلف دعوة صريحة وواضحة إلى ضرورة الوحدة الإسلامية بين أبناء العالم الإسلامي بحيث تجعل المسلين كتلة واحدة تقف في مواجهة من يحاولون الكيد للإسلام والمسلمين.

هذه نظرة سريعة ولمحة موجزة حول مؤلفات الإمام في مختلف فروع العلم والمعرفة فهو بحق ممن تركوا خلفهم ثروة علمية ضخمة لا يستهان بها في مجالات عديدة ، حيث تناول فيها مختلف الموضوعات التي ترسي تعاليم الدين الإسلامي ، وتعمل على نصرة الحق ومواجهة أصحاب الفكر المنحرف الذين يحاولون النيل من الإسلام ورجاله ، وليست هذه هي مؤلفات الإمام فقط ، وإنما له العديد من المؤلفات التي لم تر النور ، والتي لم يتم جمعها وطباعتها حتى وقتنا هذا ، فضلاً عن الكثير من محاضراته وندواته ولقاءاته ومؤتمراته في مصر ومختلف بلدان العالم الإسلامي ، هذا بجانب مقالاته التي كانت تنشر في أعداد مجلة (لواء الإسلام) و(المسلمون) وغيرها من المجلات والصحف منها :" مجلة القانون والاقتصاد ومجلة المسلمون ومجلة حضارة الإسلام ، ومجلة القانون الدولي ، وكتاب أسبوع الفقه الإسلامي ، وكتاب أسبوع القانون والعلوم السياسية ، ومجلة الأزهر ، ومجلة العربي ، أما في مجلة لواء الإسلام الشهرية لصاحبها أحمد باشا حمزة فكانت للإمام أربعة أبواب ثابتة هي: تفسير القرآن ، ومقال اجتماعي ، وندوة لواء الإسلام، وباب الفتاوى للرد على أسئلة القراء ". [٢]

فلو فُصل الحديث عن مؤلفات الإمام وما تشتمل عليه من مادة علمية قيمة

(١)محمد أبو زهرة : **الوحدة الإسلامية** ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٦م ، ص٣ .
(٢) محمد أبوزهرة : زهرة التفاسير ، جـ١ ، **مرجع سابق** ، ص ٧ .

لاحتاج الأمر إلى دراسات عديدة وإلى صفحات كثيرة ، ولكن يكفي ما تم ذكره من عرض موجز وبسيط حتى يقف القارئ على كم هى كثيرة هذه المؤلفات بشكل عام .

عصر الإمام ورأيه فى قضايا عصره :

الظروف البيئية التي ينشأ فيها الإنسان بمختلف صورها وأشكالها لها أثر كبير في نشأة الفرد وتكوينه الفكري ، فالإنسان لا يعيش بمعزل عن الحياة والبيئة المحيطة به ، بل هو في تفاعل مستمر معها يتأثر بها ويؤثر فيها ، لذلك كان للظروف البيئية التي ولد فيها الإمام ونشأ فيها سواء كانت سياسية أم اجتماعية أم اقتصادية أم ثقافية والتي كانت تمر بها البلاد في هذه الفترة أكبر الأثر في نشأة الإمام وتكوينه الفكري ، ويظهر ذلك الأثر واضحاً من خلال مؤلفات الإمام وكتاباته في مختلف فروع العلم والمعرفة ، والتي جاءت صورة صادقة لتلك الأحوال والظروف التي كانت تمر بها البلاد في هذه الفترة ، والتي أسهمت بدورها في الحياة السياسية ، وفي حل ومعالجة العديد من القضايا الاجتماعية والمشكلات الاقتصادية وسوف يتم عرض هذه الظروف والأحوال التي عاش فيها الإمام سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم فكرية وأثرها في نشأة الإمام وتكوينه الفكري في الصفحات التالية :

أولاً : رأيه فى قضايا عصره السياسية :

ولد الإمام والدولة العثمانية قائمة برغم تحرر مصر في ذلك الوقت من تلك السيادة العثمانية فهي تمثل فكرة الوحدة الإسلامية والرباط الجامع فكان لذلك أثره في الإمام حيث كان من أبرز الدعاة للوحدة الإسلامية والعربية في عصره على أساس أن الأمة كلها جسد واحد ينبغي أن تقوم على الوحدة والتآلف والتكاتف ، ونبذ كل أنواع الفرقة والتشتت حتى تكون أمة قوية قادرة على مواجهة كل الصعاب والتحديات .

فقد كان رحمة الله عليه من أشد المؤيدين لفكرة الجامعة الإسلامية التي توحد الشعوب الإسلامية تحت راية الإسلام فيقول : " إن الفرقة بين المسلمين هونت أمرهم وجعلتهم حجة على الإسلام ومبادئه ، حتى لقد قال الأعداء : لو كان الإسلام خيراً، ما كان أهله على هذه الحال من الخلل والاضطراب والبعد عن أسباب القوة ، الآن وقد صار المسلمون إلى افتراق ، وفي بعض الأحيان يكون بأسهم بينهم شديد ، ووالى كثير منهم من لا يود للإسلام وأهله خبالا ، فكان لابد من جمع المتفرق ، ولم الشعث ، واتباع ما أمر به القرآن ، وقرره النبي ﷺ في وصاياه ، وإعادة أمر المسلمين كما ابتدءوا جماعة واحدة يتضافرون كالبنيان المرصوص ، ولا يخذل بعضهم بعضاً ، وأن يبتدأ بأقرب الخطوات ، ثم التي تليها من غير موانأة ولا قصور "(١) ، حتى تعود للمسلمين والأمة الإسلامية هيبتهم وكرامتهم مثلما كانت في العصور الأولى وتكون في مقدمة الشعوب والأمم ، على أساس أن الإسلام ينظر إلى الإنسانية على أنها وحدة ، لا فرقة فيها سواء بالأجناس أو الألوان أو الأقاليم ، فقد جمعتهم نفس واحدة خلقوا منها حيث قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ النساء : ١.

والوحدة الإسلامية التي نادى بها الإمام لا تعني إحياء الخلافة الإسلامية كما كانت من قبل، ولكن الوحدة التي نادى بها ينبغي أن تكون مناسبة لروح العصر حيث يقول : " إننا لا نرى أن تكون الوحدة قائمة على دولة واحدة لها حكومة مسيطرة على كل المسلمين ، فإن ذلك لا يمكن مع الوضع الهندسي للبلاد الإسلامية في الأرض ، وخصوصاً أن

(١) محمد أبوزهرة : الوحدة الإسلامية ، **مرجع سابق** ، ص ص ٣،٧ .

الأراضي الإسلامية ليست متصلة الأجزاء".(١)

فالوحدة التي نادى بها الإمام لا تكون بالمكان أو الأصل نظراً لتفرق المسلمين والإسلام في مختلف الأقطار والأمصار وإنما المقصود هو : " معنى الوحدة الإسلامية وهو الذي نريده وهو غايتنا ، وهو أن نعتبر أنفسنا مهما تناءت الديار مرتبطين بروابط وثيقة تمتد جذورها في أعماق أنفسنا ، وهي مبادئ الإسلام وشعائره ، وعبادته وعقيدته ، إذ هو دين الوحدة الجامعة الشاملة ، كما هو دين التوحيد الكامل الخالص من كل شرك ، إن الوحدة الإسلامية هي غايتنا ويجب أن يتغياها كل مسلم ".(٢)

وبعد سقوط الدولة العثمانية شهدت مصر وكثير من البلدان العربية بداية عهد الاستعمار : " فمنذ سبتمبر ١٨٨٢م والشعب المصري يعاني من الاحتلال الأجنبي ، وبلغت به الحالة مرحلة التذمر ، خاصة وأنه قد بدأ في الشعور بضرورة العيش في ظل الكرامة والاستقلال ، وشهدت مصر توطيد أقدام بريطانيا في البلاد وتغلغلها في شئون الحكومة كما شهدت تحكمها ومحاولة فصل السودان عن مصر ،والاستمرار في استغلال القناة ووقف المناصب الكبرى على الأجانب، وإلغاء مجلس النواب ، وإبطال النظام الدستوري على مر السنين ".(٣)

وقد كان للإمام نشاط واضح في مواجهة الاستعمار في عصره سواء بالقول أو الفعل، ففي ندوة (لواء الإسلام) عن منهج الإسلام في مقاومة الاستعمار يقول : " إن الإسلام يحارب الاستعمار بكل ألوانه وأنواعه ، سواء أكان الاحتلال في الاقتصاد أم في الفكر والعقيدة والمبدأ ، ومنهاج الإسلام في محاربة الاستعمار إقامة الوحدة الإسلامية

(١) **المرجع السابق** : ص ٢٣٥ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ٢٣٦ .
(٣) جلال يحيى وخالد نعيم : **الوفد المصري ١٩١٩- ١٩٥٢**، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث،١٩٨٤م ، ص ٩٣

المتقاربة المتكاملة في كل شيء ، وتربية العزة والكرامة في آحاد المسلمين وتحرير الإنسان من الاستبداد ، ودراسة الكون والعلم بنواميسه واستغلال كل ينابيع الثروة والطاقات البشرية للمسلمين ، واعتبار كل أرض إسلامية ملكاً لكل مسلم ، وإطاعة أوامر الله ونواهيه ".(١)

ولم يكن نشاط الإمام في مواجهة الاستعمار قاصراً على مجرد الكتابة فقط ، بل كان يدعو طلبته إلى التظاهر في وجه المستعمر ، وكان يخرج معهم : " كان الإمام وهو أستاذ بالجامعة يدرس الشريعة الإسلامية كان يدرس معها الخطابة ، ومن خلالها كان يدعو الطلبة للتظاهر في وجه الإنجليز ، ويدربهم على الخطب الحماسية والوطنية ، حتى أنه قاد طلبته في مظاهرة ضد الإنجليز والقصر ، وفجأة وجد أحد جنود الإنجليز يشهر أمامه مسدسه في وجهه فصاح فيه الشيخ اخفض يدك واغرب عن وجهي أيها الأحمق وإلا كنت الضحية ، وضربه على يده بعصاه فوقع المسدس من يده وتركه يتألم ، وواصل مع طلابه إلى أن بلغت المسيرة غايتها ".(٢)

وخلال فترة الحرب العالمية الأولى تأثرت البلاد بتلك الأحداث والظروف العالمية مما هيأ البلاد للقيام بثورة ١٩١٩م ، وعندما هب الشعب المصري وتجمعت كل طوائفه للقيام بثورة ضد المستعمر الإنجليزي رغبة في الاستقلال والحرية ، وأملاً في جلاء الإنجليز عن مصر كان الإمام - رحمة الله عليه - في مقدمة شبابها ، " فوقف على الكثير من دقائق أحداثها ووقائعها ، وأحب سعد باشا زغلول وتعلق به ، وكان حريصا على حفظ خطبه وترديدها ".(٣)

وقد ساعدته الظروف في ذلك الوقت أن يكون من رواد تلك الثورة بما وهبه الله

(١) محمد أبو زهرة: منهج الإسلام في مقاومة الاستعمار ،**مجلة لواء الإسلام**،العدد ١٢،السنة ١٤،يناير ١٩٦١م،ص ٣٣
(٢) أبو بكر عبد الرازق : أبو زهرة إمام عصره ، **مرجع سابق** ، ص ١٩٥ .
(٣) محمد أبو زهرة : زهرة التفاسير ، جـ١ ، **مرجع سابق** ، ص ٤ .

سبحانه وتعالى من ذاكرة واعية وبديهة حاضرة وطلاقة في اللسان أن يكون له أكبر الأثر في توجيه وتشجيع السامعين ، " فبفضل الذاكرة الواعية لشيخنا أصبح بحق مؤرخ أدق أسرار هذه الثورة ، فكان يحدثنا عن كثير مما غاب عن مؤرخيها ، وما ترك مناسبة ورد فيها ذكر سعد زغلول إلا اندفع في الثناء عليه ، وألقى بعض كلماته، ويتبعها بمناسباتها ويفصلها تفصيلا كأن الحدث مشاهد الآن، وكان بهذا يصل حاضرنا بماضينا القومي القريب ".(١)

واستمرت المواجهات بين تلك الحركات التحريرية وبين المستعمر وحدث نوع من الامتزاج والتلاحم بين كافة أبناء الشعب المصرى فى مواجهة المستعمر، " وبحريق القاهرة وإعلان الأحكام العرفية وسقوط الوفد تصل الثورة المضادة إلى ذروة نجاحها ، ولكن تبدأ من ناحية أخرى ما يعرف بأزمة الحكم ، حتى نزول الجيش في المعركة في يوليو ١٩٥٢ م ".(٢)

وقد كان الإمام من أشد المؤيدين لهذه الثورة والمساندين لها سواء بالقول أو الفعل فبعد نجاح هذه الثورة وجلاء المستعمر عن مصر وبداية عهد من الاستقلال والتحرر يتحدث الإمام عن مدى سعادته فيقول : " يعلم كل قارئ أن فرحتى ما كانت لتحد يوم عزل فاروق على يد زعيم الثورة اللواء (محمد نجيب) الوطني بحق أمد الله في عمره وذهبت يومها إلى قيادة الثورة وألقيت فيها كلمة باسم الجامعيين ، أشرت فيها إلى مرحلة من تاريخنا وتطوره في مقاومة الاستعمار والقصر، ثم انتقلت إلى وضع صورة لما يكون عليه العمل الوطني والحكم بكتاب الله ، وأننا على طول تاريخنا لم ننجح إلا بقدر اهتمامنا بديننا ، وعدالة ونزاهة حكامنا ".(٣)

ولم يستمر طويلاً اللواء (محمد نجيب) في قيادة الثورة ، وبدأ عهد جديد وهو

(١) عبد المعز عبد الحميد الجزار : **مرجع سابق** ، ص ١٢٦٨.
(٢) محمد أحمد أنيس : **تطور المجتمع المصري من الإقطاع إلى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢** ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٥م ، ص ٢٤٠ .
(٣) أبو بكر عبد الرازق : أبو زهرة إمام عصره ، **مرجع سابق** ، ص ٣٣ .

الحكم الناصري بزعامة الرئيس الراحل (جمال عبد الناصر) ، ولم يكن الإمام على وفاق مع الحكم الناصري ، بل كان يعارضه في كثير من القضايا وكان الإمام يعلن عن رأيه في جرأة وشجاعة دون خوف أو رهبة في كافة المحافل والتجمعات مما أوقعه في مشاكل مع حكام عصره في ذلك الوقت ، حيث منع من الهيئات التي عمل بها ، بما في ذلك كليات الحقوق وكذلك الكتابة في الصحف والمجلات في ذلك الوقت : " فقد تعرض الشيخ في أول الأمر لهجوم من أصحاب الأقلام المنحرفة – لمجرد أنه رمز من رموز أنصار الشريعة الإسلامية – تركوا فكره ، وهاجموا شخصه وافتروا عليه بما لم تقترفه يداه ، ثم تطور الأمر بصدور توجيهات من رئيس الجمهورية للمسئولين في إحدى جلسات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي بألا يسمح للشيخ أبي زهرة بالاستمرار في نقده الذي كان يؤثر في الجماهير باعتباره من أكبر علماء الشريعة في عصره الذين يعتد بهم وبرأيهم ، وقد كانت فترة تحديد إقامته على أواخر عهد الرئيس (عبد الناصر) ولم تدم طويلاً لوفاته ".(١)

ولكنه وقد نشأ نشأة المناضلين ، واكتسب جرأة المدافعين عن الحق والدين لم يلن ولم يكف، بل هو ماض فيما هو فيه ، لا يثنيه عن عزمه شيء ولا يوقفه عن محاربة الظلم والفساد والطغيان في عصره أي شيء ، فاتجه في هذه الفترة إلى كتابة مؤلفه " المعجزة الكبرى القرآن " وهو يتحدث عن ذلك فيقول :"إنا نحمد الله على ما اختبرنا به في أثناء كتابة ما كتبناه ،لقد اختبرنا الله تعالى في أول كتابة ما كتبنا عن القرآن فانقطعنا عن الاتصال بالصحف السيارة،نخاطب المسلمين من فوق منبرها وقطعنا عن المجلات العلمية نوجه الفكر الإسلامي من طريقها، ومن كل طرق الإعلام فلا نصل إليها، وكان الهم الأكبر أن انقطعنا عن دروسنا، وعن المحاضرات العامة ، ولكن القرآن آنسنا في وحدتنا ، وأزال

(١) ناصر محمود وهدان : **مرجع سابق** ، ص ص ٦٠ ،٦١ .

غربتنا ، فكان العزاء النفسي والجلاء الروحي ".(١)

وظل رغم كل الظروف السيئة التي مر بها في ذلك الوقت قوياً كعادته يضرب أروع الأمثلة في ميدان العزة والكرامة والصلابة في الحق ، فقد كان رحمة الله عليه يقول لطلابه: " كونوا يا بني مع الحق دائماً وأخلصوا لله دائما ولا تمالقوا أحد في حق ولا تكونوا على ضعف أبدا ".(٢)

حتى أنه لم يقبل أن يسكت عما رآه يوما حقا بأن يوجه السلطان بعد انقضاء فترة الحكم الناصري وبداية عهد جديد بقيادة الرئيس الراحل (محمد أنور السادات) أخذ يتجه إلى كافة طوائف الأمة لإيجاد نوع من الثقة بينه وبينهم حيث : " التقى جميع طوائف الأمة ، وخص رجال الأزهر بالذهاب إليهم فاستقبلوه استقبالا طيبا ما عدا الإمام فقد أبدى بعض تحفظاته ، وتحدث إليه بلغته قائلا : إن كنت مخلصا في قصدك الذي حضرت من أجله لرجال الأزهر فهذا شيء طيب يحمد لك ، وإليك رسالة خطية مني اقرأها إن كنت تريد فَلاَحاً وسيراً على الدرب ، فاستلمها منه وأعطاها لسكرتيره فغضب الإمام وقال يا (أنور) تلك الرسالة خاصة بك أنت ، وبها مقومات الحاكم العادل الذي يرعى حق الله عليه وحق أمته ، فإن كنت تريد فَلاَحاً فتدبر ما فيها ، ونطلب العون لك من الله ، ونقدر إخلاصك لدينك ووطنك".(٣)

وهكذا ظل الإمام مشاركاً في الحياة السياسية في عصره سواء من خلال مؤلفاته وكتاباته أو من خلال ندواته ولقاءاته أو من خلال دروسه وخطبه ومحاضراته أو من خلال مقالاته في الصحف والمجلات والإذاعة وفي كافة المحافل والتجمعات وهذه هي مشاركته من

(١) محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى القرآن ، **مرجع سابق** ، ص ٥ .
(٢) أنور الجندي : **مرجع سابق** ، ص ٣٦ .
(٣) أبو بكر عبد الرازق : أبو زهرة إمام عصره ، **مرجع سابق** ، ص ص ٥١ ، ٥٢ .

خلال القول والكلمة ، كما كان له دور في مواجهة المستعمر من خلال المشاركة الفعلية مع طلابه وكافة طوائف الشعب في العديد من المظاهرات التي تندد بالاستعمار وتنادي بخروجه ، فهو ابن من أبناء هذا الوطن ، محبا لوطنه ، ومخلصا في دعوته ، ورائداً من رواد الحركة الوطنية ، وداعية من أبرز دعاة الوحدة والاستقلال .

ثانياً : رأيه فى قضايا عصره الاقتصادية :

لا تقتصر دعوة الإمام إلى الوحدة الإسلامية على النواحي السياسية فقط، بل هي دعوة عامة إلى الوحدة في كافة النواحي ومنها الوحدة الاقتصادية حيث يقول : " إن الارتباط الاقتصادي جزء جوهري من الوحدة الإسلامية ، لأن قوى الأمم في هذا العصر تقوم على الاقتصاد ، فأمريكا مثلاً قوتها قائمة على الاقتصاد الأمريكي ، وإن مواردها أعظم الموارد، ومصانعها أعظم المصانع ، والاقتصاد أداة من أدوات الحرب بل هو أقوى عدة ، لذلك كان لابد أن يكون لنا اقتصاد موحد لينتفع المسلم بخيرات أرضه ويذهب عنه رق الاستغلال بعد رق الاستعمار ، ورق السخرة التي تجعلنا نحن المسلمين كأننا عبيد الأرض ، وإن الوحدة الاقتصادية تتقاضانا أن نتعاون جميعاً على استغلال كل ينابيع الثروة التي تجود بها أرضنا والتي تكتنزها في باطنها تكون لنا أولاً بالذات ، ولا يكون لغيرنا إلا ما يفيض عن الأقاليم الإسلامية بعد أن تستوفي حاجتها منها ".(١)

لم تكن دعوة الإمام إلى هذه الوحدة مجرد كلمات فقط بل هي دعوة صادقة نظراً لسوء الأحوال الاقتصادية التي كانت تمر بها البلاد في ذلك الوقت بعد إلغاء السيادة العثمانية عن مصر وسقوط الخلافة الإسلامية ، وبداية عهد جديد تمر بها معظم الأقطار الإسلامية وهو عهد الاحتلال الأجنبي مما ترتب عليه سوء في جميع أحوال البلاد ومنها

(١) محمد أبو زهرة : الوحدة الإسلامية ، **مرجع سابق** ، ص ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

الأحوال الاقتصادية ، " فقد تأثرت البلاد بالاحتلال الإنجليزي لها ، فقد ساءت ظروف مصر وتدهورت أحوالها تدهوراً سريعا من الناحية الاقتصادية ، مما أدى إلى تغيير جذري في البناء الاقتصادي وبالتالي في البناء الاجتماعي للبلاد ، ولقد ترعرعت المصالح والمرافق المالية والاقتصادية لبريطانيا في مصر منذ احتلالها للبلاد ، وزاد عدد الشركات والمصانع بشكل نافس رأس المال الأجنبي رأس المال الوطني الناهض في عملياته ".(١)

فلم تكن حياة الإمام بمعزل عن تلك الحالة التي تمر بها البلاد فهو فرد من أفراد هذا الشعب، وأسرته من الأسر المتوسطة الحال مثل كثير من المصريين ، تأثرت بهذه الأحوال الاقتصادية السيئة التي تمر بها الدولة في هذه الأوقات ، لذلك كان الإمام من أشد المناهضين لجلاء المستعمر نظراً لسوء أحوال البلاد في ظل الاستعمار فجاءت كتاباته تدعو إلى ضرورة تحقيق الوحدة الإسلامية ونبذ كل ألوان الفرقة وحتى تتحقق أحد أشكال هذه الوحدة وهي الوحدة الاقتصادية فقد وضع الإمام مجموعة من الأمور ينبغي توافرها وهي : " أن يكون أهل الخبرة الذين ينظمون الاقتصاد منا لا من غيرنا ما دامت فينا الكفايات وأن تكون المؤسسات الاستغلالية منا ، وتكون رؤوس أموالها منا لا من غيرنا فتكون لنا بالرجال والمال ، وأن يكون للمسلمين نقد موحد ، يكون للتعامل فيما بين الأقاليم الإسلامية بعضها مع بعض ولا يلغي بذلك النقد الإقليمي ، ويجب أن يكون للمسلمين مجتمعين مصرف كالمصرف المركزي في أمريكا ، وأن تزال المحاجزات الجمركية بين المسلمين".(٢)

وبذلك يتحقق اكتفاء ذاتي في كافة الأقطار الإسلامية من خلال استغلال كل الثروات المتاحة في كافة الأقطار ولا يحتاج المسلمين إلى غيرهم ، ونتيجة لزيادة الضغوط

(١) جلال يحي وخالد نعيم : **مرجع سابق** ، ص ص ١٠،٩ .
(٢) محمد أبو زهرة : الوحدة الإسلامية ، **مرجع سابق** ، ص ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

السياسية والاقتصادية وسوء أحوال الناس ،وحدوث تلاحم بين فئات الشعب وطبقاته ترتب عليه حدوث ثورة ١٩١٩م التي كان الإمام من أبرز روادها في ذلك الوقت والتي على إثرها حدث تغيير في كل نواحي الحياة ، فلم تقف هذه التغيرات عند أحوال البلاد السياسية بل شملت كل الأحوال ومنها الاقتصادية مما ترتب عليه تحسن في هذه الأحوال .

فقد :"رأت مصر أن النجاح السياسي الذي حققته بثورة ١٩١٩ لا يكتمل إلا بنجاح اقتصادي ، ومن هنا اتجهت إلى تأسيس بنك مصر وشركاته ، ثم تطورت بالنشاط الاقتصادي تطوراً هائلاً ، فصدر قانون الشركات ، كما قامت العديد من الصناعات التي ارتقت في كثير من الأحوال ونافست الصناعات العالمية ، وقد ساعد إلغاء الامتيازات الأجنبية عام ١٩٣٧ م الذي قامت به الحكومة مزيد من التطور في الجانب الاقتصادي".(١)

وبرغم هذا التطور والتحسن في أحوال البلاد الاقتصادية في أعقاب ثورة ١٩١٩ وما أعقبها من حروب وحركات تحررية ، إلا أن ذلك لم ينعكس على الشعب المصري إلا بعد أن نالت مصر استقلالها في الخمسينات ، " فقد شهدت الخمسينات ثورة يوليو ١٩٥٢م وانهيار النظام الملكي ، وقوانين الإصلاح الزراعي ، والاتجاه إلى تمصير الاقتصاد وأعقب ذلك في الستينات قوانين التأميم ، ثم ما حدث في السبعينات من اتجاه إلى الانفتاح الاقتصادي والسياسي".(٢)

عاش الإمام وعاصر تلك الظروف التي تمر بها الدولة ، وكان لهذه الظروف أثر في توجه الإمام إلى مناقشة العديد من القضايا الاقتصادية ، والتصدي لها من خلال وضع

(١) أحمد شلبي : **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية** ، ط٣ ، جـ٩ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٠م ، ص٥٣.

(٢) أحمد على مرسي : **المجتمع المصري** ، موسوعة مصر الحديثة ، المجلد التاسع ، القاهرة ، وزارة الثقافة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦م ، ص ٢٠ .

الحلول المناسبة والتي كانت مثار جدل وخلاف في عصره ،من هذه القضايا التي تحدث عنها وناقشها من وجهة نظر اقتصادية " قضية تحديد النسل " وما أثاره الكثيرون من ادعاءات حول هذه القضية .

حيث : " قال الذين يتبعون أعداء الإسلام من غير بينة ، إننا نريد رفع مستوى المعيشة للفلاح المصري ، وللعامل المصري ، ولا يمكن رفع المعيشة له وأولاده يتكاثرون ويتزايدون ، فلابد من التقليل لكي يرتفع المستوى ، لأن المورد محدود ، ولا شك أن قسمته على عدد قليل يجعل ناتج القسمة كبيرا ، ولو جعلنا المقسم كبيرا يكون ناتج القسمة قليلا وبذلك يزيد مستوى المعيشة كلما كان عدد الأولاد قليلا ، ويقل كلما كان عدد الأولاد كثيراً". (١)

فهؤلاء لا يريدون للإسلام ولا للمسلمين خيراً بل يحاولون النيل منه وأهله من خلال محاربة زيادة النسل بدعوى قلة الموارد ، وضيق مساحة الأراضي الزراعية بالرغم من أن مصر لم تعد بلداً زراعياً تعتمد على الزراعة فقط كما قرر ذلك الإمام بقوله : " إن مصر الآن لم تبق بلداً زراعياً يعتمد على الزراعة بل إنه صار يعتمد على الصناعة ، وأن ما تنتجه مصر من ثمرات الأرض والأغراس يزيد عما تنتجه أرض إنجلترا التي اتسعت لأكثر من خمسين مليونا ، ولكنها الصناعة ، ومصر فيها كل الموارد الأولية للصناعة ، فيها البترول ولم يكشف كل ما يجري في باطنها من أنهار له ، وفيها الحديد وقد كشف فيها الفحم ، وقد اتجهت إلى الصناعة في عهدها الأخير". (٢)

كما أكد الإمام على أن أعظم ثروة يمكن أن تسهم في نهضة اقتصادية هي تلك

(١) محمد أبو زهرة : تنظيم الأسرة وتنظيم النسل ، **مرجع سابق** ، ص ١٠١ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ١٠١ .

الثروة البشرية والتي يمكن استغلالها في تحقيق وفرة في الإنتاج والاكتفاء الذاتي كما يقرر ذلك علماء الاقتصاد فيقول الإمام : " إن الاقتصاديين المدركين الفاهمين الذين لا يقلدون ولا ينحرفون يقررون أن النسل في ذاته قوة وثروة ، وأن أعلى مصادر الثروة هو القوى البشرية ، وإن الاقتصاديين المدركين يقرون أنه لو استقامت الصناعة المصرية على سوقها لاحتاجت مصر إلى أكثر مما يتزايد به سكانها عاماً بعد عام ".(١)

هذه هي نظرة الإمام الاقتصادية فيما يتصل بهذه القضية ومدى حاجة المجتمع المصري وكافة الأقطار العربية والإسلامية إلى تلك الثروة البشرية في إطار يترتب عليه حسن استغلالها واستخدامها في تحقيق حالة من الاستقرار الاقتصادي مما ينتج حالةً من الرخاء ورفع مستوى المعيشة للأفراد .

ومن الموضوعات التي كانت مثار جدل وخلاف في تلك الآونة بين مؤيدين ومعارضين ، والتي عبر فيها عن رأيه بكل جرأة وشجاعة دون خوف من حاكم أو سلطان قضية الربا فقام بوضع مؤلف خاص بتلك القضية أسماه (بحوث في الربا)تعرض فيه لكافة الآراء ووجهات النظر.

فقد علل المؤيدون لنظام الفائدة المصلحة في ذلك وقالوا : " إن نظام الفائدة نظام اقتصادي، يجعل الأموال كلها مدخرة ، ويجعل كل رؤوس الأموال تعمل ، فبدل أن يترك المال في الخزائن يتنقل في الأيدي ، ندخله في الصناعات والمتاجر وفي الزراعات وفي كل أبواب الإنتاج المختلفة فينميها ، وفوق عمله في الإنتاج يحمل الأفراد على الادخار ".(٢)

هذه هي المصلحة التي يقررها الربويون ودعاة الفائدة ، وأي مصلحة في ذلك وهم

(١) **المرجع السابق** : ص ص ١٠١ ، ١٠٢ .
(٢) محمد أبو زهرة : **بحوث في الربا** ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٩م ، ص ٤١.

بهذا يحاولون إضعاف الإنتاج ، وخلق جيل من الشباب متكاسل عن العمل والإنتاج نظراً لتوافر ربح بدون تعب ومشقة مع الاعتماد على الآخر في تنمية ماله واستثماره.

والإمام يقرر أن الحكمة من تحريم نظام الفائدة في الإسلام إنما هو : " لبناء اقتصادي سليم تتحقق فيه أوجه المصلحة الفاضلة التي ليس فيها أكل لمال الناس بالباطل وليس فيه كسب مطلق من غير تعرض لخسارة ، وإذا كان تحريم الربا للمصلحة ، أو بعبارة أدق للتخفيف من طغيان رأس المال طغيانا مطلقا ، حتى يكون ربح المال كسبا مضمونا مستمرا فإن الإسلام – بهذا – يراعي مصلحة المجتمع كلية ، ولقد قرر الاقتصاديون في العصر الحاضر أن الفائدة لا تؤدي إلى التوظيف الكامل للأموال ، لأنه سيوجد من يتخذون الفائدة كسبا لذاتها من غير نظر إلى ما يشتمل عليه من إنتاج ويحبسون أموالهم لهذا الغرض".(١)

وفي هذا حث على العمل والإنتاج واستثمار لكل الأموال التي بين أيدينا من خلال المشاركة والإسهام في كافة الأعمال المنتجة في المصانع والمزارع والمتاجر وبالتالي يترتب عليه توفير فرص عمل كثيرة وتوفير كافة الاحتياجات والمستلزمات ، وتحقيق نمو مستمر في رؤوس الأموال مما يعود بالخير والفائدة على صاحب المال وعلى كل أفراد الشعب وعلى البلاد .

والنظام الإسلامي الأمثل في قضية الفائدة وما يتعلق بها كما قرر الإمام بقوله : " وإذا أريد نظام إسلامي ، فإنا نقيمه على أساس التعاون ، ومصارف الادخار التي يكون نظامها قائما على التعاون بين المقرض والمقترض ، بين المصرف ومن يعامله ، فإن خسرا خسرا معا وإن كسبا كسبا معا ، ويكون منه التأمين على البضائع ، ويكون القرض الحسن

(١) **المرجع السابق** : ص ص ٤١ ، ٤٢ .

الذي لا فائدة فيه ولا ما يشبه الفائدة ".(١)

هذه هي بعض القضايا الاقتصادية التي تعرض لها الإمام بالبحث والدراسة والتي كانت محل جدل وخلاف في تلك الأوقات موضحاً فيها كل وجهات النظر ما بين مؤيدين ومعارضين ، ومعبرا فيها عن رأيه بكل جرأة وصراحة دون خوف من حاكم أو سلطان معتمداً في ذلك على تعاليم الإسلام وقواعده .

ثالثا : رأيه فى قضايا عصره الاجتماعية :

في ظل هذه الظروف والأحوال السياسية والاقتصادية التي تمر بها الدولة في ذلك الوقت صاحب ذلك سوء في الأحوال الاجتماعية حيث زادت نسبة الفقر والفقراء مع سيطرة الاحتلال على كل موارد الدولة ، وكذلك زادت نسبة الفوارق التي توجد بين طبقات المجتمع ، وقد ساعدت سلطات الاحتلال على إيجاد تلك الفوارق بين أفراد الشعب المصري، حتى يتمكنوا من فرض نفوذهم وسيطرتهم على كافة مناحي الحياة في المجتمع المصري.

نظراً لتدهور وسوء الأحوال الاجتماعية في هذه الفترة ، وانتشار الفرقة بين أبناء الشعب، ظهرت كثير من الأصوات التي تنادي بضرورة الإصلاح الاجتماعي والتخلص من سيطرة الاحتلال ، وكان من أبرز هذه الدعوات الإصلاحية دعوة رجال الدين من أبناء الأزهر ، وكان من أبرز الذين تأثروا بهذه الدعوة الإمام الذي : " أكد على قوة الرباط بين الدين والمجتمع في دعوته حيث كان ينادي دائماً بأن الدعوة الإسلامية هي دينية من ناحية واجتماعية من ناحية أخرى لأن الإسلام منهج يجمع بين الدين والدنيا فهو يسعى لخير الجماعة في شتى الصور ، ويؤلف بين خلق الفرد خاصة ، وبين الأمة بوجه عام ".(٢)

(١) محمد أبو زهرة : الوحدة الإسلامية ، **مرجع سابق** ، ص ٢٤٦ .
(٢) أبو بكر عبد الرازق : أبو زهرة إمام عصره ، **مرجع سابق** ، ص ١٦٩ .

فالإمام يربط بين الدين والحياة ويقرر أن الدين هو الأساس الذي تنتظم في ضوئه الحياة الاجتماعية فهو صالح لكل زمان ومكان حيث يقول : " إن النظم التي سنها الإسلام لا تزال برونقها وصفاتها أعدل من كل ما اهتدى إليه العقل البشري من نظم ، سواءٌ أكان ذلك في نظام المعاملات المالية أم في نظام الأسرة ، أم كان في الزواجر الاجتماعية من حدود وقصاص وتعزير ، فالدين هو الوحيد الذي يصلح لحكم الإنسانية ، وفيه علاج أدوائها ، ووقف الأشرار الذين يريدون لها الويل والثبور وعظائم الأمور وهو شفاء الصدور ".(١)

فالدين الإسلامي كما قرر الإمام ليس مجرد مجموعة من الشعائر والطقوس التي يؤديها الإنسان ، بل إن الإسلام منهج وطريقة يجمع بين الدين والدنيا لأن صلاح الدين يترتب عليه صلاح الدنيا ، ولن يصلح المجتمع إلا بما صلح به أوله ، وقد جاءت العديد من مؤلفات الإمام صورة صادقة في هذا المجال تنتظم في ضوئها الحياة الاجتماعية من هذه المؤلفات كتابه " تنظيم الإسلام للمجتمع " حيث يتحدث عن هذا الكتاب فيقول : " بينا فيه الدعائم التي قررها الإسلام للمجتمع الفاضل ، والدعائم التي يقوم عليها بناء الأسرة والروابط التي تربط بين آحادها وخصوصا الزوجين ، وبينا ما حاط به الإسلام الأطفال من رعاية ، وخصوصا الذين فقدوا آباءهم ، ثم بينا تعاون الأسرة فيما بينها فأشرنا إلى نظام الميراث وإلى نفقات الأقارب ، وبينا نظام الزكاة وكيف يكون في عصرنا الحاضر ".(٢)

فقد حرص الإمام في هذا الكتاب على تنظيم المجتمع الإنساني في ضوء الإسلام وتعاليمه والمستمدة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ حتى تنتظم الحياة الاجتماعية بين أفراده على أساس ديني ، سواء في مجتمع الأسرة وما بين الزوجين من علاقات وما بينهم وبين

(١) محمد أبو زهرة : المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ص ١٥، ١٦ .
(٢)محمد أبو زهرة : **تنظيم الإسلام للمجتمع** ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٥م ، ص ٤ .

أولادهم من علاقات ، أو في المجتمع الصغير من الجيران والأقارب والخلطاء ، أو في المجتمع الكبير في محيط الدولة بهدف بناء وتنظيم المجتمع الإنساني .

ولكي تنتظم الحياة الاجتماعية بين كافة أبناء الشعب ، وللمحافظة على بناء اجتماعي سليم لابد من تحقيق نوع من التكافل الاجتماعي بين كافة أفراد الشعب حتى يكتمل البناء الاجتماعي ، وقد أوضح الإمام أن المقصود من ذلك هو أن : " التكافل الاجتماعي في مغزاه ومؤداه أن يحس كل واحد في المجتمع بأن عليه واجبات لهذا المجتمع يجب عليه أداؤها ، وأنه إن تقاصر في أدائها فقد يؤدي إلى انهيار البناء عليه وعلى غيره وإن للفرد حقوقاً في هذا المجتمع يجب على القوامين عليه أن يعطوا كل ذي حق حقه من غير تقصير ولا إهمال ، وأن يدفع الضرر عن الضعفاء ، ويسد خلل العاجزين ، وأنه إن لم يكن ذلك تآكلت لبنات البناء ، ولابد أن يخر منهاراً بعد حين ".(١)

فالمجتمع الذي يسوده التكافل الاجتماعي بين كافة أفراده بحيث تتلاقى فيه كل القوى الإنسانية، وتراعي فيه مصالح الجماعات والآحاد ، يكون مجتمعا قويا متماسك البنيان ، " فالإسلام جاء لإيجاد مجتمع فاضل تتعاون فيه كل القوى بحيث لا يطغى فريق على فريق، وأول مظهر للمجتمع الفاضل في الإسلام هو تكوين ووجود رأي عام فاضل يتعاون على الخير ودفع الشر ، فإن المجتمع في مظهره العام يكون بيئة صالحة لأن تترعرع في ظلها الفضيلة وتختفي من نورها الرذيلة ".(٢)

ولم يقف الإمام في تنظيم الحياة الاجتماعية والعلاقات بين الأفراد عند حد المجتمع الداخلي والعمل على تحقيق الانضباط والنظام الداخلي فقط بل تعدى ذلك إلى علاقات

(١) محمد أبوزهرة : التكافل الاجتماعي في الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ٥ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ٧ .

الدول مع بعضها البعض لأن العلاقات الخارجية لها أثر في تحقيق النظام الداخلي ففي إحدى رسائله تناول موضوع " العلاقات الدولية في الإسلام " حيث : " تعرضت هذه الرسالة لبيان الوحدة الإسلامية ، ونظرة الإسلام نظرة شاملة لكل بني الإنسان ، وأن العلاقات الدولية ككل العلاقات الاجتماعية والأحادية تقوم على المودة والرحمة والعدالة والوفاء بالعهود ، فإنها كما تنظم علاقات الآحاد تنظم علاقات الجماعات والدول ، وقد بينت أنه لا فضل لجنس على آخر ولا لون على لون ، وأن الجميع سواء أمام الله ، فيجب أن يكونوا في المعاملة الإنسانية سواء ، وإنه يجب أن تتعارف الشعوب وتتلاقى وتتعاون ويستغل ابن الأرض كل ينابيع الثروة فيها ، ويفيض كل إقليم على غيره بما يفضل ما ينتج ، ويبادله الآخر مثله ، وقد أيدت كل ما تعرضت له بالقرآن والسنة وأعمال السلف الصالح وأقوال الفقهاء ".(١)

فعلاقات الدول بعضها مع بعض ينبغي أن تقوم على أساس من المودة والرحمة لا على أساس القوة والحرب حتى تعيش هذه الدول في سلم وأمان واستقرار يعود بالخير على الإسلام وأهله وحتى لا يكون هناك من يتربصون بالإسلام وأهله ويكيدون لهم ، وبذلك يتحقق بناء اجتماعي قوي متماسك الأركان .

ولم تقف دعوة الإمام إلى الوحدة الإسلامية عند حد الوحدة السياسية والوحدة الاقتصادية بل نادى بضرورة أن تكون هناك وحدة اجتماعية بين كافة الأقطار الإسلامية برغم ما بينها من حدود ومسافات وحواجز ، ويعتمد هذا الاجتماع على اتحاد الدين والمشاعر كما قرر ذلك الإمام بقوله : " إذا قامت الوحدة الإسلامية على أساس الدين وأخذ المسلمون جميعا بأخلاق الإسلام التي علمها القرآن وأوصى بها محمد ﷺ ، ذهبت أكثر شرور

(١) محمد أبو زهرة : العلاقات الدولية في الإسلام ، **مرجع سابق** ، ص ١١ .

العالم ، وكان المسلمون كما ابتدءوا مثلا عالية للفضيلة والإنسانية العالية ، وإن الأخوة الإنسانية تقوم على عناصر ليس فيها اعتداء على أحد ولا تعصب ضد أحد ، وإنه في الوحدة الإسلامية التي يكون أساسها تطبيق الدين تكون العدالة الحقيقية التي لا تفرق بين جنس وجنس ولا بين لون ولون ، إذا لا عنصرية في الإسلام ، بل الذي فيه : كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، والناس سواسية كأسنان المشط ".(١)

ففي ظل هذا الاجتماع الذي يقوم على الرباط الديني تتكون أمة قوية متحدة المشاعر والتوجهات ، تتجه نحو الخير والفضيلة والتعاون والتعارف ، وتسودها وحدة المبادئ الخلقية الفاضلة ، والنظم الاجتماعية العادلة .

رابعا : رأيه فى قضايا عصره الثقافية :

من أجل الحفاظ على المجتمع الإسلامي ووحدته تعالت الأصوات التي تنادي بضرورة العودة إلى الوحدة الإسلامية في مواجهة من يكيدون للإسلام وأهله ، وكان الإمام من أبرز دعاة هذه الوحدة في شتى المجالات سواء السياسية أم الاقتصادية أم الاجتماعية وقد أكد الإمام على أن هذه الوحدة لن تتحقق إلا إذا اتحدت الثقافة والتفكير بين كافة أبناء الأمة نظرا لأن الثقافة الإسلامية متحدة في الأصل في كل الأقطار الإسلامية كما قرر ذلك الإمام بقوله : " وجود أصل الوحدة في الثقافة الإسلامية ثابت في كل البلاد الإسلامية مهما تختلف فيها الطوائف والمذاهب ، إنما الأمر الذي نريده هو العمل على إنماء هذه الوحدة ، وإيجاد مجتمع فكري موحد ، يبني دعائم الإسلام ، ويقف حاجزاً دون النزعات المنحرفة التي يحاول الغزو الأجنبي وصنائعه أن تتغلغل في نفوس المسلمين ، وبث الريب في الحقائق الإسلامية ، ويحارب الذين اصطفاهم أعداء الإسلام ليحلوا عراه ".(٢)

---

(١) محمد أبوزهرة : الوحدة الإسلامية ، **مرجع سابق** ، ص ص ٢٣٠ ، ٢٣٢ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ٢٦٣ .

فإذا كان أصل الوحدة بين المسلمين ثابت وموجود فإن الهدف المقصود عند الإمام من إثارة هذه الأمور هو العمل على تنمية هذه الوحدة وتجديدها بما يتلاءم مع مقتضيات العصر، ولكي تتحقق هذه الوحدة الثقافية بين كل الأقطار الإسلامية لابد أولاً من وجود لغة جامعة بين كافة الأقطار بجانب اللغات الأصلية، ومن البداهة أن تختار اللغة العربية حتى تكون هي اللغة الجامعة كما قرر ذلك الإمام نظراً لأنها : " لغة القرآن أولاً، ولغة السنة ثانياً، ولغة العبادة الإسلامية ثالثاً، فهل من المسلمين من يصلي بغير قراءة الفاتحة بالعربية، وهل من المسلمين من يحرم في الحج ويلبي بغير اللغة العربية، وهل من المسلمين من يتلو القرآن بغير اللغة العربية، ويعتبر تلاوته تعبدا، إن اللغة العربية هي لغة التراث الإسلامي كله، فالفقهاء على شتى مناهجهم ومذاهبهم قد دونوا علمهم باللغة العربية وكذلك الفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي، وتفسير القرآن والحديث كل أولئك باللغة العربية ".(١)

فاللغة العربية هي التي جمعت المسلمين في الماضي، فكانت عاملا في قوة المجتمع وتماسكه في مواجهة الآخرين، وكانت سببا من أسباب التلاقي والاجتماع، فكان حقا على الأمة أن تنهض لإحياء اللغة العربية حتى تكون اللغة الجامعة ليس من باب التعصب للعربية، ولكن بهدف تحقيق الوحدة الإسلامية.

ويؤكد الإمام على أن الأمر لا يقف عند إحياء اللغة العربية ونشرها بين كافة أقطار الأمة الإسلامية، بل لابد من تعلم اللغات الأخرى التى تسهم فى ترجمة ونقل العلوم إلى اللغة العربية، وقد أكد ذلك بقوله : " إن تعلم اللغات الحية أمر لابد منه في البلاد الإسلامية لأنها لغات العلم الكوني والإنساني وهذا العلم في تجدد مستمر، وزيادة دائمة، وقد تغلغلت

(١) **المرجع السابق** : ص ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

آثاره في كل المجتمعات الإنسانية ، ولا يكفي أن يكون بين المسلمين متخصصون في هذه العلوم ، متتبعون لما يزاد فيها ، وما تكشفه العقول الباحثة بل لابد مع ذلك أن تترجم هذه العلوم إلى اللغة العربية لتستفيد منها إنماء وحيوية ، ونجده في علمها ".(١)

لهذا يجب أن يجتهد المسلمون في تعلم اللغات الحية ، التي تسهم في عملية النقل والترجمة لما أنتجه العلماء من الجديد في العلم ونقله وترجمته إلى اللغة العربية ، حتى لا تتخلف الأمة عن ركب التقدم والتطور العلمي ، وحتى لا تكون بمعزل عن الأمم الأخرى .

ولكي تكتمل هذه الوحدة الثقافية بين كل الأقطار الإسلامية لابد من جمع التراث الإسلامي، وهذا ما أكد عليه الإمام بقوله : " يجب جمع تراث الماضي في كل البلاد الإسلامية ، لا فرق في ذلك بين ما تركه فقهاء الأمصار، وما تركه علماء الشيعة الإمامية والزيدية والإسماعيلية من مذاهب وآراء ، إن ذلك هو تراثنا جميعا لا تراث طائفة واحدة منا ، وإننا بهذه الدارسة للتركة الإسلامية الثرية من غير محاولة تفضيل طائفة على أخرى نحقق مقاصد ثلاثة : أولها : وصل ماضي الأمة بحاضرها ، ثانيها : ألا يكون العالم الإسلامي منحازا في جانب من جوانبه ، بحيث لا يتجه إلى الجانب الآخر، ولا يتعرف ما فيه ، ثالثها : أن تتقارب الطوائف الإسلامية ، بحيث يكون خلافها مذهبيا كالخلاف بين الحنفية والمالكية والحنابلة " (٢) ، لذلك ينبغي الاهتمام بجمع ودراسة التراث الإسلامي الذي هو تراث الأمة كلها ، لما في ذلك من التقريب ، ونبذ كل ألوان الفرقة والاختلاف حتى تتحقق الوحدة الإسلامية .

ومن القضايا الثقافية التي كانت مثار جدل وخلاف في عصر الإمام قضية (تطوير

(١) **المرجع السابق** : ص ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

الأزهر) حيث تعرض الأزهر منذ إنشاؤه إلى العديد من القوانين المنظمة للتعليم الأزهري فقد : " تعرض نظام التعليم في الأزهر لعدة تغيرات وفق ما صدر من قوانين وقرارات كان أولها قانون تنظيم الأزهر عام ١٨٧٢ ، وأعقبه صدور قانون عام ١٨٩٥ بشأن إنشاء مجلس إدارة الأزهر ، تلا ذلك صدور قوانين في أعوام ١٩٠٨،٩،١٩٦١،١٩٣٦،١٩٣٠،١٩٢٣،١٩١١". (١)

فقد كان صدور هذه القوانين موضع جدل وخلاف بين كثير من العلماء في تلك الآونة ما بين مؤيدين ومعارضين لهذه الإصلاحات وقد تعرض الإمام في كتاباته للحديث عن هذه القضية ، وأوضح رأيه فيها بكل صدق وصراحة ، نظراً للمكانة الرفيعة التي يحظى بها الأزهر في نفس الإمام ، فيتحدث الإمام عن فضل الأزهر ومكانته فيقول : " حمل الأزهر شرف حماية الإسلام ، من وقت أن أغار الصليبيون على الأراضي الإسلامية من الشرق والغرب ، ثم أغار من بعدهم التتار ، فكان العلم الإسلامي يحيا في الأزهر ، وأدى الأزهر – في ذلك الوقت – رسالته كاملة ، وإن كان الناس في عصرنا الحاضر قد سمّوا حالته جموداً كن الأزهر استطاع بوقفة الحراسة أن يحفظ الكتاب والسنة وفقه السلف الصالح من غير أن يدخل عليه عبث ". (٢)

فالتعليم الأزهري مفتوحا أمام كافة أبناء الشعب ليس مقصوراً على فئة معينة كما في الأنظمة التعليمية الأخرى ، وقد صدرت العديد من القوانين الإصلاحية للأزهر حتى تتفق رسالته مع مقتضيات العصر ، وقد ذكر ذلك الإمام بقوله : " كان لابد للأزهر أن يغير حراسته للإسلام ، وأن يحرسه بطريقة أخرى ، فجاء عهد الإصلاح الذي ابتدأه الإمام الشيخ / محمد عبده بطريقته ، وهي أن يبث الأفكار في الأزهر ، وأن يوجه المسلمين إلى ما

(١) وزارة الثقافة : **التعليم** ، موسوعة مصر الحديثة ، المجلد الرابع ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦م ص ١٢٧ .
(٢) أبو بكر عبد الرازق : أبو زهرة وقضايا العصر، **مرجع سابق** ، ص ١٨٤ .

كان عليه السلف الصالح ، ثم أخذ يلقي دروسه في الأزهر ، وجاء من بعد ذلك الإصلاح النظامي ، ولعل أبرزه ما حدث ١٩١١م ، ولعل أوضح ما جاء به هذا الإصلاح إنشاء هيئة كبار العلماء ، ثم اتصل الأزهر من بعد ذلك بالحياة الحديثة ، فأدخلت فيه دروس الرياضة والجغرافيا ، ولكن بكميات قليلة ، وكانت بجواره دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي فقامت إلى جوار الأزهر هاتان المدرستان للعلوم الحديثة ممزوجة بالعلوم الدينية ، وفي سنة ١٩٢٩ اقتبست الدراسات الحديثة في الأزهر اقتباسا كاملا في القسمين الابتدائي والثانوي فصارت تقارب في مستواها وموضوعها نظيرتها في التعليمين الابتدائي والثانوي في وزارة التربية والتعليم ، على توسع في دروس الفقه والتفسير واللغة العربية بما يتلاءم تمام التلاؤم مع رسالة الأزهر ".(١)

فقد استمر الأزهر في أداء رسالته بما يتفق مع مقتضيات العصر من تطورات وبما يحقق أهداف الأزهر في المحافظة على التراث الإسلامي ، لذلك فإن الأزهر لم يقف جامداً في وجه هذه الإصلاحات ، بل إنه استفاد منها ، وطبقها في حدود ما يتناسب مع رسالته ، وقد أكد الإمام في عملية التطوير والإصلاح ضرورة أن تتفق مع رسالة الأزهر حيث قال : " إن كل إصلاح للأزهر يجب أن يكون مشتقاً من رسالته ، ويجب أن يكون مقويا لآداء هذه الرسالة ، إن رسالته إسلامية ، فيجب أن يكون كل إصلاح لتقوية هذه الرسالة الإسلامية ، وكل إصلاح يجب أن يدور حول هذا القطب ، والعبرة بمن ينفذون ، لا بأصل القانون ، فكل قانون يقبل أن يتسع وأن تشمل رحابه كل نواحي الفكرة،وخصوصا في دور التعليم ينفذه الرجال،وبقوة الرجال يتبين صلاحه".(٢)

(١) **المرجع السابق** : ص ص ١٨٤ ، ١٨٥ .
(٢) **المرجع السابق** : ص ١٨٥ .

هذه هي بعض القضايا الثقافية التي كانت محل جدل ونقاش في عصر الإمام ، وقد تعرض لها الإمام بالشرح والتوضيح وإبداء الرأي الذي يتفق مع وجهة نظره ، بما يحقق المحافظة على التراث الإسلامي ، والعمل على تنمية الوحدة وتجديدها.

من خلال ما سبق عرضه في هذا الفصل عن نشأة الإمام وحياته ونشاطاته ووظائفه التي شغلها يتضح لنا أن الإمام ولد ونشأ خلال الفترة التي ظلت فيها مصر تعانى من وطأة الاستعمار بكل صوره وأشكاله سواء السياسية أم الاقتصادية أم الاجتماعية أم الثقافية وما ترتب على ذلك من سوء في تلك الأحوال .

فقد جاءت كتابات الإمام صورة صادقة لما كانت تمر البلاد فهو ابن من أبناء هذا الوطن، عاش ونشأ شأن كثير من المصريين فى تلك الظروف والأحوال ، فهو من الأسر المتوسطة الحال، فلم تقف كتابات الإمام عند جانب واحد من جوانب المعرفة ، بل شملت العديد من ضروب العلم والمعرفة ، فكانت صورة صادقة للعديد من القضايا والأحداث التي كانت مثار جدل وخلاف في تلك الآونة ، جهر فيها الإمام برأيه بكل جرأة وصراحة دون خوف أو رهبة معتمداً في ذلك على علمه وفقهه وشجاعته وجرأته وشغله العديد من المناصب العلمية والعمل في كثير من الجامعات والمعاهد العلمية وحضوره العديد من الندوات والمجامع العلمية سواء في مصر أو في العديد من البلاد العربية .

وقد كانت دعوة الإمام صريحة وواضحة في مقاومة الاستعمار إلى ضرورة تحقيق الوحدة بين كافة الأقطار الإسلامية سواء السياسية أم الاقتصادية أم الاجتماعية أم الثقافية حتى تستطيع الأمة الإسلامية مواجهة هذا الاستعمار بكل صوره وأشكاله وتكون في مقدمة الأمم كما كانت من قبل ، وقد أكد على ذلك الإمام في العديد من كتاباته .